الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام

بقلم
الشيخ محمد حسن آل ياسين

الفاتحـــــة

الى روح سماحة الشيخ محمد حسن آل ياسين

الذي لبى نداء ربه يوم السبت ٢٦جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام

الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام

بقلم
الشيخ محمد حسن آل ياسين

مطبعة الوثيقة ـ بغداد
١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد المصطفى المختار خاتم النبيين وسيد المرسلين، وآله الصفوة الميامين الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فقد تكرر مني القول فيما قدّمتُ به كتبي السابقة المعنيَّة بالأئمة المنتجبين: ان الحديث عن تأريخهم المشرق الوهّاج أجملُ ألوان الحديث، وان سيرَهم الشامخة المضمّخة بالأريج أعذب السِّيَر، وان حياتهم المعطاء الدفّاقة بالطهر والنقاء أسمى ما عرفت البشرية من حياة، فيما تنشر من هدى؛ وتمنح من رشد؛ وتضفي من ألق ونور.

وقلتُ سابقاً وكررتُ القول أيضاً: ان نفسي كانت تسوقني ـ ومنذ حين ـ الى كتابة هذه الأوراق المحمَّلة بخلاصة اللباب

النافع الماتع من ذلك التاريخ المشرق الرائع؛ والمقتصرة على المختصر المفيد من تلك السِّير العطرة النضّاخة بالطيوب، مسجّلاً فيها أقباساً من إشعاع أولئك القادة العظام؛ أبواب علم النبوة؛ وخزّان كنوز الوحي؛ وحاملي أسرار التنزيل، لأن تلك الأقباس المتلألئة الزهراء هي زبدة عطاء الإسلام الأصيل، بما حمل من خير وصلاح ونجاة، وما ألهم من عزم ومضاء وفداء.

وعشتُ ازاء هذه الرغبة الملحّة بين عاملَيْ أخْذٍ وردٍّ، يستقي أحدُهما حَذَره من شموخ هذا الموضوع ومن التضاؤل أمامه خوفاً وفرقاً من ولوج خضمّه البعيد الغور، ويستمد ثانيهما عزْمَه من الإحساس بأن هناك جوانب في تاريخ الأئمة وسيرتهم وتراثهم الفكري؛ لم تبحث على النحو الذي يجب أن يكون عليه البحث ــ بمعناه المعاصر ــ في العرض والسرد والتحليل، بعيداً عما هو خارج عن المنهج العلمي من زوائد التفصيل والتطويل، بل ان هناك من تلك الجوانب مالم يسلّط عليه الضوء الكاشف بالقدر الذي ينبغي له من جلاء وتبيين، ولم تُجْمَع أطرافه المهمة في دراسات موجزة تغني قارئ اليوم ــ وهو العَجِل الضيِّق الوقت ــ عن الرجوع الى الكتب الضخمة والموسوعات الكبرى التي لم تلتزم في المعظم بطرائق التبويب المنهجي الحديث، ولم تخضع في الغالب لقواعد التدقيق والغربلة والتمحيص.

واستسلمتُ أخيراً لعنف الرغبة التي عاشت في حنايا نفسي وقتاً غير قصير من الزمن، واقتحمتُ الميدان وكلي أمل بأن يحالفني التوفيق في إنجاز حلقات هذه السلسلة على النحو الذي رجوتهُ لها: قياماً بواجب الوفاء بأبرز مسائل البحث ونقاطه الرئيسة؛ والتزاماً بالأمانة والموضوعية في النقل والنقد والمحاكمة واستخلاص النتائج.

وهكذا بدأتُ العمل ــ متوكلاً على الله ــ في الإعداد لتلك الدراسات. وعلى هدى ذلك المنهج حررتُ هذه الصفحات.

والله المسؤول أن يكتب لي في هذا المسعى بعضَ النجاح والفوز في إفادة القراء ونفعهم، وبعضَ الثواب والأجر في كتلب حسناته وميزان نفحاته. وهو ــ تعالى ــ وليُّ ذلك كله من قبل ومن بعد.

★ ★ ★

وقد عقدتُ الفصل الأول من هذه الرسالة على "محمد بن الحسن المهدي بين ولادته وإمامته"، فتحدثت فيه عن تاريخ ولادته ــ يوماً وشهراً وسنة ــ في أرجح الروايات وأصحها، وعن تلك الليلة السعيدة التي ولد فيها هذا المنتظر لإقامة دولة الحق وما فعل الإمام الحسن العسكري(ع) اثر الولادة من إجراء

أحكام السنّة؛ من الأذان في اذني الوليد وذبح العقائق وتوزيع الصدقات على الفقراء.

ثم تحدثت خلال ذلك عما كان يحيط بخبر هذا المولود من سريّة وكتمان بالغيْن وعن الأسباب الدافعة على هذا التخفي والجوانب المتعددة التي شملها ذلك الكتمان، وكيف استغل الأعداء والمشككون هذا التستر لإنكار وجود ولد للإمام العسكري. وأوردتُ أسماء المؤرخين الذين نصوا على ولادة الإمام المهدي — وفيهم الشيعي والمالكي والشافعي والحنفي والحنبلي — والروايات المروية عن الإمام العسكري(ع) بوجود ولده واراءته اياه لبعض خواص شيعته. وناقشت في أثناء ذلك بعض الشكوك المثارة في هذا الموضوع؛ كالاختلاف في تاريخ الولادة؛ ومسألة وصية الإمام العسكري لوالدته دون ولده، وعدم الاتفاق على اسم أمّ المهدي؛ وعدم حضور أحدٍ من النساء غير السيدة حكيمة ساعة الولادة؛ وكذلك ادعاء جعفر بن علي الإمامة بعد أخيه الحسن منكراً وجود ولدٍ لأخيه، معتمداً في كل ذلك على أقدم المصادر وأوثق الروايات.

وعقدت الفصل الثاني على "الإمام محمد بن الحسن المهدي(ع) بين امامته وغيبته"، فتحدثت فيه عن الدليل على إمامته في أبرز وجوهه الثلاثة التي ذكرها الباحثون، وكان الوجه

الأول منها: النص عليه من جهة أبيه خاصة بالقدر الذي يصح عدُّه من المتواتر معنى ومضموناً، وكذلك النص عليه بالذات من قبل أئمة أهل البيت(ع) السابقين على الإمام العسكري.

ثم كان الوجه الثاني من الأدلة على إمامته: النص النبوي على عدد الأئمة وكونهم اثني عشر لا يزيدون ولا ينقصون، وتصريح المحدثين بأن ذلك الحديث صحيح ومتواتر وفي أعلى درجات الصحة والتواتر، والى الحد الذي ينفي كل محاولة للتشكيك فيه أو نسبته الى الضعف أو الإبهام.

وكان الوجه الثالث من ذلك الدليل: النص النبوي على اسم المهدي وغيبته، وهو نص متواتر المعنى والمدلول بما لا يصح فيه النقاش أو التردد، وقد أوردتُ فيه الروايات المأثورة عن النبي(ص) في ذلك مما صرّح فيها بكون المهدي من قريش؛ ومن أولاد عبدالمطلب؛ ومن العترة أهل البيت من آل محمد(ص)؛ ومن أولاد علي وفاطمة؛ ومن ذرية الحسين؛ وكونه ثاني عشر الأوصياء والأئمة؛ وابن الحسن العسكري(ع)، مثبتاً عدم صحة بعض الأخبار المنسوبة الى النبي(ص) مما يخالف ما أسلفناه، سواء منها ما يتعلق باسم أبي المهدي أو الزعم بأنه لا مهدي الا عيسى بن مريم، مضافاً الى الرد على بعض الاعتراضات والشبهات المتعلقة بهذا الموضوع. ثم أردفتُ ذلك بايراد جريدتين ذكرتُ في

اولاهما أسماء بعض الصحابة الذين رووا عن النبي(ص) حديثه في المهدي، وفي الثانية أسماء بعض رجال الحديث من غير الشيعة الإمامية الذين نصُّوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرّحوا بصحتها. وألحقتُ ذلك بسرد أسماء بعض الباحثين من المحدّثين الذين ألفوا الكتب والرسائل في موضوع المهدي من غير الشيعة أيضاً، وكذلك أسماء بعض الشعراء الذين ذكروا المهدي في شعرهم؛ مترقبين يوم ظهوره ومقرين بحتمية ذلك.

وعقدتُ الفصل الثالث على "غيبة الإمام المهدي(ع) بين المثبتين والمنكرين" فتحدثت فيه عن غيبة الإمام والدليل عليها، مستعرضاً الآراء في امكان بقاء الإنسان على قيد الحياة طيلة قرون وقرون، وذكرتُ ما يجب أن يقال في مقدمة هذا البحث من أن الإيمان بمسألة الغيبة جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان بالأمور التي ورد النص القطعي عليها في القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح بحكم كونهما مصدر التشريع والعقيدة وباب المعرفة عند المسلمين، وأوردتُ في خلال ذلك النصوص النبوية على الغيبة وما يدعم ذلك من الأحاديث المصرحة بضرورة وجود إمامٍ حيٍّ في كل عصر وزمان لئلا يموت الإنسان الجاهل بإمام زمانه ميتة جاهلية. ثم شرحتُ موضوع (الغيبة الصغرى) التي كان يتصل المؤمنون فيها بإمامهم بواسطة وكلائه المعيَّنين

المعروفين فيسألون ويستفهمون وكيف كانوا يتلقون الأجوبة على تلك الأسئلة والحلول لتلك المشاكل، مستشهداً على ذلك بفقرات من تلك الجوابات المأثورة فيما تعم به الحاجة وما ينفع الناس.

ثم شرحت موضوع (الغيبة الكبرى) وما قال العلماء في تفسيرها وتحديد المراد منها وبيان دوافعها وأسبابها، موضحاً الموقف من مقولة إمكان بقاء الإنسان حياً طوال هذه السنين، ومبيناً حديث القرآن الكريم ومصادر الدين والتاريخ عن وقوع ذلك مرات ومرات، ثم حديث العلم المعاصر عن إمكان ذلك وعن منطلقات العمل الدؤوب في كل مراكز البحث العلمي في العالم في اتجاه إطالة عمر الإنسان. ثم ختمت الكلام في ذلك بذكر ما تنتظره البشرية اليوم من توقع ظهور مصلح منتظر يقود ركب الإنسانية الى النهج السوي ويحمله على الصراط المستقيم، مستشهداً بما بشَّر به الفيلسوف البريطاني (برناردشو) من حاجة الكرة الأرضية الى هذا المنقذ الذي سماه (السوبرمان) وما ذكره في كتابه "الإنسان والسوبرمان" من مواصفات هذا المنقذ ومزاياه الخاصة.

ثم أردفت الكتاب في آخره، بملحقين: عُني أولهما بالكلام عما يسمى (سرداب الغيبة) وما قال فيه الأولياء والأعداء؛ وعن

الصحيح الثابت في هذا الموضوع. وعُني الثـــاني بتعريـــفٍ واف بوكلاء الإمام المهدي(ع) في عصر غيبته الصغرى، ليكون القارئ الكريم على علمٍ بجلال مقامهم وسمو منـــزلتهم.

★ ★ ★

وفي الختام ــ كما في البدء ــ أحمد الله تعالى أجزل الحمـــد على كريم آلائه وجميل نعمائه، ثم أُضاعف الحمد والشكر له عـز وجل في آخر هذه السطور على ما وفقني اليه من إكمال هـــذه السلسلة بالحديث عن الإمام الثاني عشر المنتظر الموعود؛ خـــاتم الأوصياء وبقية الحجج؛ الذي نتلهف الى رؤيته واشراقة طلعتـــه وحلول يوم ظهوره، ليملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً؛ فترفرف على البشرية راية دولة القرآن وكلمـــة الحق، وما ذلك على لطفه ومنّه ببعيد.

والله أسأل ــ من قبل ومن بعد ــ أن يسدّد الخطا علـــى الطريق، ويمد بمزيد من التوفيق، انه خير مسدّد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

مُحَمَّدُ بن الحَسَن "المَهْديّ"

بين

ولادته وإمامته

في أعماق تلك الليلة البهيجة القمراء؛ ومع قرب إشـــراقة الخيوط الأولى لفجرها الوضّاح المتلألئ[1]، لليوم الخامس عشـــر من شهر شعبان على الأرجح الأصـــح[2]، ولعلـــه كـــان يـــوم

---

(1) ورد النص على ولادته عند الفجر في إعلام الورى: ٢/٢١٥؛ وعلى الـولادة ليلاً في الارشاد: ٣٧٢ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ وبحـــار الأنـــوار: ٥١/٢٨ وينابيع المودة: ٣٨٦.

(2) ورد النص على الخامس عشر من شعبان في الكافي: ١/٥١٤ وكمال الديـن: ٢٤٠ والارشاد: ٣٧٢ وإعلام الورى: ٢/٢١٤ ووفيات الأعيـان: ٣/٣١٦ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ والوافي بالوفيات: ٢/٣٣٦ والأئمـــة الاثناعشـــر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/٢ و٤و٢٨ ومجمع الرجـــال: ٧/١٨٩ وإسـعاف الراغبين: ١٣٩ وجواهر الكلام: ٢٠/١٠٠ وينابيع المودة: ٣٨٦.
وقيل: ثامن شعبان كما في وفيات الأعيـــان: ٣/٣١٦ والـــوافي بالوفيـــات: ٢/٣٣٦ والأئمة الاثناعشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/١٥ و٣٦٠ ومجمـــع الرجال: ٧/١٨٩ وعمدة الزائر: ٣٣٤.
وقيل: في شهر رمضان (بحار الأنوار: ٥١/١٦) أو في غرته بالتحديد (عمـــدة الزائر: ٣٣٤) أو في الثالث والعشرين منه (كشف الغمة: ٣/٢٣٤).
وقيل: تاسع ربيع الآخر كما هو مروي في وفيات الأعيـــان أيضـــاً والـــوافي بالوفيات والأئمة الاثناعشر.

الجمعة[3]، من سنة خمس وخمسين ومائتين على الأشهر[4]، ولد أبو القاسم محمد بن الإمام الحسن بن علي العسكري(ع)[5]،

---

(3) ورد النص على يوم الجمعة في كمال الدين: ٢٤١ و وفيات الأعيان والأئمة الاثناعشر وبحار الأنوار ومجمع الرجال وجواهر الكلام وعمدة الزائر.

(4) الكافي: ١/ ٥١٤ والبيات الوصية: ٢١٩ وكمال الدين: ٢٤٠ والارشاد: ٣٧٢ وإعلام الورى: ٢١٤/٢ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ وكشف الغمة: ٢٤٣/٣ والوافي بالوفيات: ٣٣٦/٢ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثناعشر: ١١٧ والصواعق المحرقة: ١٠٠ وبحار الأنوار: ٢/٥١ و٤ و٢٨ ومجمع الرجال: ١٨٩/٧ واسعاف الراغبين: ١٣٩ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢ وينابيع المودة: ٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٣٤.
وقيل: سنة ٢٥٤هـ (بحار الأنوار: ١٦/٥١).
وقيل: سنة ٢٥٦هـ (الكافي: ٥١٤/١ وكمال الدين: ٢٤١ وغيبة الطوسي: ٤١٩ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ وتاريخ الإسلام: ١١٣ والوافي بالوفيات: ٣٣٦/٢ والأئمة الاثناعشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ١٥/٥١ و٢٢ و٣٦٠ و١٦/٥٢ ومجمع الرجال: ١٨٩/٧ وعمدة الزائر: ٣٣٤).
وقيل: سنة ٢٥٨هـ (وفيات الأعيان: ٣١٦/٣ ومطالب السؤول: ٧٩/٢ وكشف الغمة: ٢٣٤/٣ وتاريخ الإسلام: ١١٣ والوافي بالوفيات: ٣٣٦/٢ والأئمة الاثناعشر: ١١٧).

(5) ورد النص على الاسم والكنية في جميع المصادر المعتبة بسير الأئمة وتواريخهم ومنها: الارشاد: ٣٧٢ والخرائج والجرائح: ٩٠٣/٢ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ ومطالب السؤول: ٨٠/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثناعشر: ١١٧ والصواعق المحرقة: ١٢٤ ونور الأبصار: ١٥٤ وينابيع المودة: ٣٦٦.

فكانت لولادته في نفس أبيه ونفوس من حضره من أهل بيته الأقربين فرحة غامرة لا توصف؛ وسرور بالغ لا يُحدُّ بكلمات.

وروى المسعودي عن "جماعة من الشيوخ العلماء" على حدّ وصفه كما روى غيره أيضاً: ان السيدة حكيمة بنت الإمام أبي جعفر محمد الجواد(ع) كانت تشدها الى احدى جواري الإمام العسكري ــ واسمها في هذه الرواية نرجس ــ رابطة وُدّ وتقى، وكانت نرجس تحبها حباً جماً وتتلقاها عند مجيئها الى بيت ابن أخيها الإمام العسكري بحفاوة ولهفة فتقبّل كفّها وتنزع خفّها بيدها[6]. وان الإمام قد طلب من عمته وقد قدمت لزيارته في أحد الأيام أن تمكث عندهم لقرب موعد ولادة نرجس، لتتولى من أمرها ما تتولاه النساء من بعضهن حين الولادة. وبعد منتصف الليل من تلك الليلة (العشية) المباركة للنصف من شعبان على الأرجح ــ كماتقدم ــ قامت السيدة حكيمة ونرجس فصلّتا نافلة الليل، ثم حدث الطلق على أثر ذلك وتمت الولادة عند الفجر[7]. فأخذت حكيمة الطفل بعد أن لفته في

---

(6) البيات الوصية: ٢١٦.

(7) الكافي: ٣٣١/١ واثبات الوصية: ٢١٦ــ٢١٧ وكمال الدين: ٢٣٦ــ٢٣٧ وغيبة الطوسي: ٢٣٤ــ٢٣٦ والارشاد: ٣٧٦ وإعلام الورى: ٢١٤/٢ــ٢١٥ والخرائج والجرائح: ٤٥٥/١ وكشف الغمة: ٢٤٧/٣ و٣٠١ وبحار الأنوار: ٢/٥١ و١٢ــ١٤ و١٦ــ١٩ و٢٥ــ٢٦ وينابيع المودة: ٣٨٧.

ثوب. وحملته الى أبي محمد(ع)[8]، "فتناوله وأخرج لسانه فمسح على عينيه ففتحهما، ثم أدخله في فيه فحنّكه"[9]، وأذّن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى[10]، وعقّ عنه بكبشين[11]، وأمر بتوزيع الخبز والطعام على الفقراء[12].

★ ★ ★

ومما يجب ايضاحه والوقوف ملياً عنده في هذا المقام تتمة لخبر تلك الولادة: ان أمر هذا الوليد الكريم محمد بن الحسن كان قد أُحيط بالسريّة والكتمان من جميع وجوهه وسائر جهاته، وكان ذلك كله بدافع الحرص على سلامة هذا الولد والحفاظ عليه من دسائس الأعداء ومكائدهم الشريرة، وقد علل المؤرخون ذلك "لصعوبة الوقت" و"شدة طلب سلطان الوقت له واجتهاده في البحث عن أمره"[13]، مضافاً الى ماهو معلوم من كون هذا الامام ــ كما صرحت الأخبار النبوية التي تداول

---

[8] اثبات الوصية: ٢١٨.

[9] إعلام الورى: ٢١٦/٢ وبحار الأنوار: ١٨/٥١.

[10] ينابيع المودة: ٣٨٧.

[11] اثبات الوصية: ٢١٩.

[12] كمال الدين: ٢٤٠ وبحار الأنوار: ٥/٥١ و٢٢ و٢٨.

[13] الارشاد: ٣٧١ وإعلام الورى: ١٥١/٢ والمناقب: ٤٥٧/٢ وكشف الغمة: ٢١١/٣ والفصول المهمة: ٢٧٢.

رواياتها المسلمون جيلاً بعد جيل ــ هو الذي يقوم بالسيف ليحطم معاقل الجور ويبني دولة الحق ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت شروراً وظلماً[14].

وترشدنا النصوص التاريخية الى أن وفاة الإمام العسكري(ع) قد أحدثت في يومها ــ نتيجة لهذه السرية ــ هزةً عنيفة في نفوس كثير من الناس حتى بعض اولئك القائلين بامامته من غير خواصه والثقات المقربين اليه، لأنهم لما فقدوا إمامهم لم يروا لهذا الفقيد بين ظهرانيهم ولداً يتقبل التعازي ويتصدر المأتم وتتمثل فيه المواصفات الشرعية للإمامة والمؤهلات المطلوبة المسلّمة في الفقه الإسلامي.

وكان غير الشيعة من المسلمين كذلك أيضاً وبطريق أولى، فذهب جلُّهم الى انكار وجود ولدٍ للإمام العسكري، لأنهم لم يشاهدوه ماثلاً أمامهم يوم وفاة أبيه وفيما تلا ذلك من الأيام.

---

[14] يراجع في الأخبار المأثورة في ذلك عن النبي(ص) والأئمة(ع) وخصوصاً ما ورد فيها من كونه الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً): سنن أبي داوود: ٤٢٢/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ والبيان: ٥٦ و٥٩ والصواعق المحرقة: ٩٧ــ٩٩ والحاوي: ١٢٤/٢ــ١٢٦ و١٣٠ ومصادر أخرى سوف يرد ذكرها في خلال البحث.

وكانت السلطة ــ بحكم ما يرويه محدثوها وقضاتها في مجالسهم الخاصة ــ تعلم على الاجمال أن لهذا الفقيد ولداً وأنه الثاني عشر الثائر القائم بالسيف، ولذلك فهي في بحث دؤوب عنه ولكن مع التظاهر بانكار وجوده إمعاناً في الحرب النفسية والاعلامية التي تريد بها بلبلة أفكار العامة خلال عملية الفحص عن هذا المتواري عن الأنظار.

وربما زاد في هذه البلبلة أودعّمها ان الامام العسكري الذي أخفى خبر ولده عن غير خواصه المقربين لم يجعله وصياً عنه زيادة في ذلك الاخفاء، وانما كانت امه الوصية عن ابنها كما هو معروف.

ثم كان جعفر أخو الإمام العسكري ــ وهو المتهالك على الدنيا وزينتها كما اشتهر بين الناس ــ قد ادعى خلافة أخيه والامامة من بعده، ومع أن كبار المسؤولين في الدولة يعلمون كذبه في ذلك لكنهم لم يروا بأساً من مجاراته في دعواه لبعض الوقت تكثيفاً لضباب الشكوك، غير أن الشيعة الواعين لم يصدقوه في ذلك بل أعلنوا رفض زعمه وكذب ادعائه بعد أن أحرجوه بالسؤال عن أمور مجهولة التفاصيل فردّ جعفر عليهم تلك الأسئلة منكراً أن يكون هو وأسلافه ممن يعلمون الغيب، فأثبت بانكاره هذا جهله بتراث سلفه الذي يضم فيما يضم من

كنوز المعرفة ما هو مدوّن محفوظ عند الأئمة(ع) من الشؤون الغيبية التي سمعها جدهم علي(ع) من لسان رسول الله(ص) الراوي عن الوحي والمحدّث بالغيب[١٥] فكتبه في جفر خاص يتداوله أهل البيت(ع) خلفاً عن سلف، مما لم يكن علماً بالغيب بالمعنى المباشر.

وخلاصة القول إفادة مجموع الشواهد والمأثورات التي سردها المؤرخون بأن الكتمان الذي أُحيط به خبر وجود محمد بن الحسن العسكري قد شمل الجوانب الآتية:

١ــ إخفاء أمر حمل امّه به، فلم يعرف ذلك الا أخص الخواص من أصحاب أبيه.

٢ــ إخفاء أمر الولادة، فلم تحضرها من النساء غير عمة الإمام العسكري كما تقدم.

وكان إخفاء أمر الحمل والولادة هو السبب في ورود بعض الروايات المخالفة للمشهور في تحديد يوم الولادة وشهرها

---

[١٥] يراجع في إخبار النبي (ص) أصحابه بما هو كائن من الامور الى قيام الساعة: صحيح البخاري: ١٢٩/٤ وسنن أبي داوود: ٤١٠/٢ وسنن الترمذي: ٤٨٣/٤ــ٤٨٤ ومسند أحمد: ٢٥٤/٤ و٣٨٥/٥ و٣٨٩ و٤٠١ والمستدرك على الصحيحين: ١٦١٧ و١٦٢٨.

وسنتها، كما مرّ ذكرها وبيان مصادرهـــا في أحـــد الهوامـــش المتقدمة.

٣ــ إخفاء اسم امه صيانة لها من احتمال قبض الســـلطة عليها في وقتٍ مّا؛ لاستجوابها في أمر ابنها، ولذلـــك اختلفـــت الروايات في تحديد اسمها من بين أسماء جواري الإمام[١٦]، لئـــلا يعلم على وجه التعيين أم محمد بالذات من بين تلكم الإماء.

٤ــ يضاف الى ما سبقت الاشارة اليه من عدم نص الامـام العسكري على ابنه في وصيته، بل لم يشركه مع امه في ذلك لئـلا يكشف أمره للأعداء ويكون ذكره له مشجعاً لهم على ملاحقتـه ومطاردته.

---

[١٦] المشهور في اسمها الها نرجس، وقيل: صقيل، وقيل: حكيمة، وقيل: سوســـن، وقيل: خمط ، وقيل: ريحانة، وقيل: مريم بنت زيد.
يراجع في ذلك كله: الارشاد: ٣٧٢ وجهرة أنساب العرب: ٦١ والفصـــل: ١٨١/٤ ومطالب السؤول: ٨٠/٢ وتذكـــرة الخـــواص: ٣٧٧ ووفيـــات الأعيان: ٣١٦/٣ وكشف الغمة: ٢٣٤/٣ و٢٤٣ و٢٧٥ والفصول المهمة: ٢٧٤ وعمدة الطالب: ١٨٨ والأئمة الاثناعشـــر: ١١٧ وبحـــار الأنـــوار: ١٢/٥١ و١٥ و١٦ و١٧ و٢٢ و٢٤ و٢٨ و٣٦٠ و١٦/٥٢ ومجمـــع الرجال: ١٨٩/٧ ونور الأبصار: ١٥٤ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢٠ وعمـــدة الزائر: ٣٣٤ وينابيع المودة: ٣٨٦ وتحفة العالم: ٧٤/٢ وعقيـــدة الشـــيعة: ٢٢٧ــ٢٢٨.

٥ــ إخفاء مكان وجود هذا الولد فلم يعلم به سوى أقرب المقربين من ثقات الأصحاب، ولم يره الا الامناء المخلصون مـــن خاصة الشيعة[١٧].

وطبيعي أن تثير هذه السِّريّة المتعددة الجوانب كثـــيراً مـــن الشكوك في نفوس الأبعدين عن دائرة الارتباط الوثيق والعلاقـــة المباشرة بشؤون الامامة والأئمة، وهم الذين لم يعلموا بنبأ ولادتـه كي يقروا بوجوده، وكانت للسلطة ــ كما تقدمت الاشـــارة ــ يد طولى في تلك الحرب النفسية المستغلة لكتمان أمر هذا الوليـد لنفي ميلاده وتكذيب خبره، وإن بقيت تبحث عنه هنا وهنـــاك حقبة من الزمن حتى أيست من استطاعتها العثور عليه والامساك به. ثم كان لجعفر بن علي في ادعائه الامامة بعد أخيه أثر قوي في نفي وجود ابن لأخيه كي يحوز النار لرغيفه، فزاد نفيه في البلبلـة وترداد الشائعات بموت الامام العسكري(ع) من دون عقب.

وهكذا بدأت تتسرّب الرِّيب وتقوى ليستغلها منذ ذلـــك اليوم بعض الكتّاب والمؤرخين ــ ومنهم الســـطحيون ومنـــهم المعادون لأهل البيت ــ، فكان فيهم المؤكّد للنفي، بل كان فيهم المتهكم بمن يعتقد بإمامة مَنْ لم يوجد ولم يولد ولم ير النور.

---

[١٧] إعلام الورى: ١٥١/٢ والمناقب: ٤٥٧.

ولكيلا نسوّد كثيراً من الصفحات بسرد ما حرره اولئك المنكرون على مرّ القرون، نجمل ذلك كله بالاشارة الى الكتب التي أفرزتها المطابع في السنين الأخيرة وقد جمعت الأقاويل السابقة والشبهات اللاحقة، وهي كتب توحي وحدة مضمونها ومنطلقاتها بأن هناك من خلفها (فئة) أو (فئات) ــ قد تكون متعاونة ومنظّمة وربما لا تكون ــ تعمل بدأب وجدّ وفي اطار مخطط يكاد يكون كالمتفق عليه في التشكيك بالمهدي المنتظر ومحاولة نفي وجوده من الأصل بمختلف أساليب النفي والتشكيك.

ويستفاد مما قرأنا من كتابات هذه الزمرة ان عدداً من أفرادها قد غلّفوا أنفسهم بأسماء رمزية غير معروفة؛ ليدعوا أنهم كانوا في يوم من الأيام من شيعة أهل البيت المؤمنين بالأئمة الاثني عشر ثم انقلبوا على الأعقاب بعد وضوح الأمر لديهم حسب زعمهم، وبرز من بينهم مَنْ رمز لنفسه باسم (أحمد الكاتب) ومن اختار اسم (حسين الموسوي) ومن أطلق على نفسه اسم (ناصرالدين شاه) والى آخرتلك الأسماء الملفقة الموهومة. ثم أطلّ علينا من بينهم أخيراً باحث يصلح أن يُعَدّ المنظّر أو القائد لهذه المجموعة، وقد طرح نفسه في الساحة باسمه الصريح وعنوانه الواضح وهو (الدكتور عداب محمود الحمش)، فسار في الطريق

نفسه وكرّر شكوك اولئك الكتّاب ودعاواهم ولكن باسلوب حاول أن يكون أكثر فرقعةً وضجيجاً، فحمل حملة شعواء على مجموع المأثور من الحديث النبوي عامةً وما يرتبط منه بموضوع المهدى خاصة؛ مما أوردته كتب الحديث الشهيرة التي ترجع اليها طوائف المسلمين من السنة والشيعة، ولم يستثن من كل ذلك الا الصحيحين ــ كالعادة ــ من دون ذكر لما يمكن أن يُردّ ويرفض من الأحاديث الواردة فيهما، بل مرتضياً ومصححاً لكل مارواه الشيخان، حتى لو كان الرواة أمثال سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان.

ثم كان آخر المطاف ذلك الاستطلاع الصحفي الذي طلعت علينا به جريدة "الملتقى الدولي" المصرية وهو يحمل عنوان (قنبلة فجرتها أجهزة الاستخبارات الغربية/حكاية إذاعة بيان المهدي المنتظر عبر الفضائيات)[١٨]، وقد أورد محرر الاستطلاع في بدئه خلاصةً للتحليلات والنتائج التي توصّل اليها الكاتب الصحفي محمد عيسى داوود في كتابه"المهدي المنتظر على الأبواب" إذ قال فيه عن المهدي ما لفظه:

---

[١٨] جريدة الملتقى الدولي/ العدد ذو الرقم (٤٨٠)/السنة التاسعة/الصادر في يوم الخميس ٢١نوفمبر٢٠٠٢م.

"انه هدية الله عز وجل لتحقيق وعده للمؤمنين الصادقين بالنصر المؤكد والتمكين في الأرض، وظهور دين سيد الخلق والأكوان والكائنات سيدنا محمد(ص) على الدين كله ولو كره المشركون... ولو كره الحاقدون... مصداقاً للحديث الشريف المتفق عليه عند سائر المسلمين من أهل السنة والشيعة: (لاتنقضي الدنيا حتى يقيّض الله للأرض رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً)... ان المهدي يمثّل السمو في الدين والفكر والسلوك... و"ليس هو عيسى عليه السلام على الاطلاق... حقاً سيتعاصران لكنهما شخصان مختلفان، وحديث (لا مهدي الا عيسى بن مريم) حديثٌ فيه نظر".

ثم استطرد كاتب الاستطلاع بعد هذا التمهيد قائلاً:

"حدث في شهر يناير سنة ١٩٩٢م أن كرّ بعض أعداء الاسلام على (المهدي المنتظر) فكرةً وقضيةً وكلمةً حقٌ بحرب شعواء محسوبة المبادئ والنهايات، حافلة بالمغالطات... وألّبوا الكتّاب والمفكرين في أمريكا وأوربا بل والعرب؛ على هدم هذه الفكرة واقتلاعها من جذورها، ونشروا فعلاً مئات المقالات والأبحاث التي شكّكت وتشكك حتى الآن المسلمين بأوربا وأمريكا والمسلمين بكل مكان وتُسْقِط في أذهانهم ان حرب

اليهود والمسلمين هي دائماً حرب خاسرة للمسلمين، ولا مهرب أمامهم من السلام الاستسلامي".

وقال الاستاذ محمد عيسى في خلال كتابه المذكور: ان المفكر الامريكي اليهودي الأصل (L.S. HANS ILYA) كان قد أثار قضية المهدي "وصرح بأن المهدي المنتظر هو (وهم) لابد منه للمسلمين، لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا دون أوهام النصر على اليهود واسترداد بيت المقدس. حتى اننا كمفكرين نلاحظ انه كلما أذلّ اليهودُ المسلمين تفجرت قضية المهدي وكانت الشماعة التي يعلّق عليها المسلمون آمالهم، وكلما دان أودنا لليهود أمرٌ وجدت المسلمين يقولون انها مقدمة للمهدي، ولم ير أحدٌ من هو المهدي الذي حلموا به ولايزالون".

"أما الكاتب الانجليزي (AOZOALD.K.L) فقد قال: ان المهدي كذبة كبرى لا يريد المسلمون أن يفيقوا منها، وان كل المسلمين لا يريدون شيئاً من هذه الحياة سوى ظهور مسلم واحد يبيد اليهود كلهم ولا يُبْقي منهم أثراً. ومَلِكُ المسلمين المنتظر هو هذا المسلم فلماذا لا يعتقد المسلمون فيه".

"وقد كتب المفكر الألماني (G. H. FANMLRNNDG) ما خلاصته: ان رأس الفكر الاسلامي المعاصر يرتكز على أن مهدي آخر الزمان سيملك الدنيا وينتصر على اليهود، ويعيد القدس

للمسلمين، وهو رجل له أمارات وكلها ظهرت، ومع هذا فالمهدي لم يظهر مع تحقق كل علاماته التي يتوهمونها، وهذا دليل على أن المهدي مجرد (وهم) لا أساس له من الصحة، الا ان كرامة المسلمين المهانة حافزٌ يردد هذه الفكرة ليعوّض النقص والعجز والانقسام الذي يحكم كل المسلمين في عالم لا بقاء فيه الا للقويّ".

"ولكن هذا الكاتب الألماني كان أكثر الكتّاب أدباً وحنكة عندما ختم بحثه بهذه الكلمات: إن المهدي فكر، والفكر كثيراً مّا يكوّن إرادة، والارادة اذا قوت كثيراً مّا تحقق المعجزات، فهل يملك المسلمون الارادة القوية في يوم قريب ويخرج منهم المهدي كفاتح، وحلمهم يتحقق ولو في أي شخص بحيث يرونه مهدي آخر الزمان. هذا ما ستجيب عنه الأيام والسنوات العشر القادمة".

ثم يختم الباحث محمد عيسى داوود كتابه معلّقاً على تلك الأفكار والتكهنات فيقول:

"ونحن المسلمين نرى أن هذا الصراع والتسابق في هدم فكرة المهدي ــ كأنهم الى نصب يوفضون ــ هو صدى لصحوة المسلمين وكرٌّ على (فكرة) هي و(الحقيقة) شيء واحد".

"ونحن لا نكره أن يناقشوا أي فكرة اسلامية... ولكننا نبغض أن يتستر (الحقد) تحت عباءة (النقاش) وأن يلبس (اللسان البذيء) ثوب (اللسان الناطق بالعلم والحكمة) وأن ينكروا مالا يعرفون أسراره الحقيقية".

★ ★ ★

ولا أريد التعقيب هنا على هذا الاستغلال اليهودي الدنيء للموضوع ومهاجمة كتابهم ومأجوريهم لجموع المؤمنين بالمهدي والمنتظرين لظهوره، لأن كذب اليهود ودسّهم وتزويرهم للحقائق ــ من يوم ادعائهم صلب المسيح(ع) الى يوم اختلاق اسطورة محرقتهم النازية المزعومة في العصر الأخير ــ أشهر من أن يذكر؛ وأبين من أن يقام عليه برهان.

ولكني أُضيف حملتهم على الامام المنتظر الى قائمة الحملات المتعاقبة على المهدي والمهدوية على مرّ القرون، إن لم يكن بعضها من صنع أيديهم من حيث لا نعلم وقد تردّت لبوس من يدعي الانتماء الى جمهور المسلمين.

كما اني لستُ في هذا المقام بصدد مناقشة التفاصيل والمنطلقات التي وردت في كتاب الدكتور عداب وكتب جماعته المشار اليهم ومن كان على شاكلتهم، فان لذلك مجالاً غير هذا المجال، ولكنني أقف من جميع أقوالهم على خصوص ما يتعلق

ببحثنا هذا المعنيّ بمحمد بن الحسن العسكري(ع)؛ أو على لباب ما يخص هذا البحث، بعيداً عن الجلبة الإعلامية التي أُريد بها الخداع والإبهام والإيهام، حيث ظن أفراد هذه الفئة ــ المكشوف منهم والمرموز له ــ انهم قد أتقنوا التخطيط لهجومهم وهيأوا له السلاح الكفيل بالقضاء على خصومهم، غافلين عن كونه سلاحاً قديماً شهره قبلهم أسلافهم مؤسسو مدرسة ابن تيمية وأضرابه والمتخرجون عليهم وعليها عبر العصور، ولم يكن لهم اليوم من جهد مضاف اليه سوى اعادة الصقل واللمعان، بأمل أن يصطادوا به بعض المغفلين والسذّج ممن لم يقفوا على البينات ولم يعوا الحقائق.

وكانت خلاصة مازعموه في هذا الموضوع ــ كما جاء على لسان أحد الناطقين عنهم وبلفظ (الكاتب) لأفكارهم ــ: ان مسألة القول بكون محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر الذي يغيب، قد جمعت عدة فرضيات:

الأولى ــ وجود الولد.

الثانية ــ انه الامام بعد أبيه.

الثالثة ــ انه المهدي المنتظر.

الرابعة ــ انه الغائب.

ثم قال: "ان كل واحدة من هذه الفرضيات بحاجة الى اثبات، وخاصة الفرضية الأولى التي تبتني عليها سائر الفرضيات"، "لأن من المعروف ان دعوى ولادة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري تأتي بأدلة عقلية ونقلية وتاريخية، فلابد إذن من مراجعتها والتحقق منها"[١٩]، على الرغم من زعمه بـ "أن القول بوجود ولدٍ للإمام العسكري في السر هو قول باطني سرّيّ" وأن للغلاة الباطنيين دوراً في صنع الفرضية المهدوية[٢٠].

أما الدكتور عداب فقد كرر ما يشبه ذلك فقال: "لوتحقق عندنا ولادة المهدي فعلاً لكان لهذه التخيلات موضع للنظر فيها"[٢١]، وقال في موضع آخر من كتابه: "وقد نصّت كتبنا المعتبرة!! على أن الحسن العسكري ــ الإمام الحادي عشر ــ توفي ولم يكن له ولد"[٢٢]، ثم أعاد تكرار ذلك في موضع ثالث فقال: "اذا ثبتت ولادته تاريخياً فيمكن ساعتئذ مناقشة

---

(١٩) متاهات في مدينة الضباب: ٧٣/١.

(٢٠) المصدر نفسه: ٧٥/٢ و٨٢.

(٢١) المهدي المنتظر: ١٤٩.

(٢٢) المصدر نفسه: ١٩٦.

القضايا التي ترتبت عليها"[٢٣]، ثم زاد في ادعاءاتـــه وتخرصاتـــه فقال: "فرضية ولادة ووجود الإمام محمد بن الحسن العســـكري التي لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم"[٢٤].

وزاد (كاتب) هذه الزمرة وهو يستدل على "عدم معرفـــة أي أحد بمولد ابن للحسن العسكري في حياته" بـــ "إقبال عامـــة الشيعة على تعزية أخيه جعفر بن علـــي وتهنئتـــه!!" وبوصيـــة العسكري باتفاق جميع الشيعة الى امه ولم يوص الى أحد غيرهـــا، "واذا كان له ولد حتى في الرحم لكان أوصى اليه، وهذا مـــالم يحدث". ثم حاول هذا المتستر باسمه المستعار أن يقيم البرهان على مجمل دعاويه هذه فقال: "ان الأدلة التاريخية الظاهرية والطبيعيـــة كانت معاكسة لدعوى وجود ولد للإمام العسكري، فهو لم يعلن ذلك الأمر ولم يشر الى وجود ولدٍ له في وصيته... وقد انطلـــق القائلون بنظرية وجود الولد من قصة الجارية نرجس... واختلف المؤرخون الشيعة حول هوية أمه؛ ولم يقل جميعهم ان نرجس هـــي أمُ المهدي وترددوا بينها وبين سوسن وخمط و..و...، وقد اختلفوا حول تاريخ ولادته المفترضة في اليوم والشهر والسنة مما يؤكـــد

---

[٢٣] المهدي المنتظر: ٤١٣.

[٢٤] المصدر نفسه: ٤٢٣.

قيام رواياتهم على التخرص والتخمين... وكانت كـــل تلـــك الروايات رغم ضعفها الشديد الذي يسقطها عن الحجية ويجعلـها شبيهة بالاشاعات تنتهي الى امرأة واحدة هي حكيمة، مما يجعـــل الرواية خبراً واحداً لايمكن الاحتجاج به".

والمستفاد من مجموع هذا التفـــخ في أبـــواق التشـــكيك والضرب على طبول التضليل: اجماع هذا الفريق على أن البحث في أساسه معتمد على ما سموه "الفرضية الأولى" التي "تبتني عليها سائر الفرضيات!!" وهي مسألة تحقق ولادة محمد بـــن الحســـن المهدي، زاعمين ان الكتب التي وصفوها بالمعتبرة قد نصت علـــى أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد؛ وان الأدلة التاريخيـــة الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود هـــذا الولـــد، لأن:

١ـــ الإمام العسكري (ع) لم يعلن أمر هذا الولـــد كمـــا يقولون.

٢ـــ وان أي أحد لم يكن يعرف بمولد هذا الابن في حيـــاة أبيه.

٣ـــ وان الاختلاف في تاريخ ولادته المفترضـــة في اليـــوم والشهر والسنة يؤكد قيام ذلك على التخرص والتخمين.

٤ــ وان الحسن العسكري قد عهد بوصيته الى أمه ولم يوص الى أحد غيرها، واذا كان له ولد لأوصى اليه.

٥ــ وان اختلاف المؤرخين في اسم أم المهدي دليل على النفي والعدم.

٦ــ وان حضور حكيمة دون غيرها من النساء ساعة الولادة يجعل الخبر من أخبار الآحاد التي لا يمكن الاحتجاج بها.

٧ــ وان اقبال عامة الشيعة على تعزية جعفر بوفاة أخيه دال على عدم وجود الولد.

★ ★ ★

هذه ــ باختصار ــ خلاصة أمينة لأهم ما جاء به أفراد تلك الزمرة أو الزمر المتجاوب بعضها مع بعض؛ فيما أودعوا في مدوناتهم ومؤلفاتهم من الأقاويل التي سبق لـ "سلفهم" أن أبدع بعضها ثم أضافوا اليها بعضاً آخر من ابتكارهم وإبداعهم. ولابد لنا ونحن بصدد تبيان الحقيقة وتمزيق حجب التعمية والضباب أن نقف باختصار أيضاً وقفة الفحص والتدقيق على كل فقرة من تلك الفقر التي أراد المشككون التعكز عليها لتمرير أفكارهم القائمة في أحسن المحتملات على الجهل بالواقع وسطحية النظر والتفكير؛ إن لم تكن منبعثة من عوامل المغالطة والدس والتشهير.

ولما كانت "الفرضية الأولى" لدى هؤلاء جميعاً هي مسألة "ولادة" هذا الإنسان و"وجوده" على الأرض، فاننا نبدأ عملية الشرح والايضاح بذكر أسماء المحدثين والمؤرخين والنسّابين الذين وقفتُ على ذكرهم للولادة في مصنفاتهم المطبوعة التي تسنى لي الاطلاع عليها، لنرى مقدار الصدق والموضوعية والصحة فيما ذكر "دعاة الشك" من أن الكتب المعتبرة قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد، ولنرى أيضاً كيف سيتخبطون فيما تبجحوا به من أن ولادته اذا ثبتت تاريخياً كان من الممكن ساعتئذ مناقشة القضايا التي ترتبت عليها ــ على مقتضى مقولات الدكتور عداب ــ وفيما ادعوه من أن الأدلة التاريخية الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود ولدٍ للإمام العسكري(ع).

وأُورد فيما يأتي أسماء اولئك المؤلفين الذين وقفتُ على تصريحاتهم بولادة محمد بن الحسن العسكري ووجوده، مرتبة على تسلسل تواريخ وفياتهم، مع الاعتراف بأن هذا العرض للأسماء قائم على التمثيل والاستشهاد لعدم القدرة على الحصر والاستيعاب:

١ــ محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، في كتابه (الكافي): ١/٥١٤.

٢ــ علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٣٣ وقيل ٣٤٥هـ، في كتابيه (اثبات الوصية): ٢٢٩ و(مروج الذهب): ١٣٨/٤.

٣ــ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، المتوفى سنة ٤١٣هـ، في كتابه (الارشاد): ٣٧٢.

٤ــ الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، في كتابه (إعلام الورى): ١٥١/٢.

٥ــ محمد بن علي بن شهراشوب السروي، المتوفى سنة ٥٨٨هـ، في كتابه (المناقب): ٤٥٧/٢.

٦ــ محمد بن طلحة العدوي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢هـ، في كتابه (مطالب السؤول): ٧٩/٢.

٧ــ يوسف بن قزغلي الشهير بسبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ، في كتابه (تذكرة الخواص): ٣٧٧.

٨ــ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨هـ، في كتابه (البيان): ١٠٢ــ١١٢ و(كفاية الطالب): ٣١٢.

٩ــ قاضي القضاة ابن خلكان أحمد بن محمد الشافعي، المتوفى سنة ٦٨١هـ، في كتابه (وفيات الأعيان): ٣١٦/٣.

١٠ــ علي بن عيسى الاربلي، المتوفى سنة ٦٩٣هـ، في كتابه (كشف الغمة): ١٩٧/٣.

١١ــ أبو الفدا اسماعيل بن علي الشافعي الحموي، المتوفى سنة ٧٣٢هـ، في كتابه (تاريخ أبي الفدا): ٤٥/٢.

١٢ــ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ، في كتابه (تاريخ الاسلام): الجزء الذي فيه حوادث ٢٥١ــ٢٦٠هـ.

١٣ــ الصفدي خليل بن ايبك الشافعي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ، في كتابه (الوافي بالوفيات): ٣٣٦/٢.

١٤ــ أحمد بن علي الحسني الداوودي النسّابة، المتوفى سنة ٨٢٨هـ، في كتابه(عمدة الطالب): ١٨٨.

١٥ــ ابن الصباغ علي بن محمد المكي المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، في كتابه (الفصول المهمة): ٢٧٤.

١٦ــ ابن طولون محمد بن علي الحنفي الدمشقي، المتوفى سنة ٩٥٣هـ، في كتابه (الأئمة الاثنا عشر): ١١٧ــ١١٨.

١٧ــ ابن حجر أحمد بن محمد الشافعي الهيتمي، المتوفى سنة ٩٧٣هـ، في كتابه (الصواعق المحرقة): ١٠٠ و١٢٤.

١٨ــ الحسين بن عبدالله السمرقندي، المتوفى حوالي سنة ١٠٤٣هـ، في كتابه (تحفة الطالب) المنشور في مجلة تراثنا: ٣٥٧ــ٣٥٨، العددان ٣و٤ من السنة ١٦.

١٩ــ الشيخ محمد الصبان المصري، الشافعي، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، في كتابه (اسعاف الراغبين): ١٤٠.

٢٠ــ مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، المتوفى بعد سنة ١٢٩٠هـ، في كتابه (نورالأبصار):١٥٤.

٢١ــ سليمان القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤هـ، في كتابه (ينابيع المودة):٣٦٦ و٣٨٦ و٤٥٠ــ٤٥٢.

٢٢ــ محمد أمين السويدي البغدادي، المتوفى بعد سنة ١٣٣٩هـ، في كتابه (سبائك الذهب):٧٨.

مضافاً الى من ترجم للامام الحسن العسكري(ع) ونصّ على أنه "والد المنتظر محمد" ومنهم:

٢٣ــ ياقوت الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، في كتابه (معجم البلدان):١٧٥/٦.

٢٤ــ علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، في كتابه (الكامل في التاريخ):٣٧٣/٥.

٢٥ــ حسين بن محمد المالكي الدياربكري، المتوفى سنة ٩٨٢هـ، في كتابه (تاريخ الخميس):٣٤٣/٢.

٢٦ــ عبدالحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، في كتابه (شذرات الذهب):١٤١/٢.

هؤلاء هم الذين وقفتُ على كلماتهم فيما يحضرني من مؤلفات السلف من الفقهاء والمحدثين والنسابين والمؤرخين ــ وفيهم الشيعي والشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي ــ، وقد نصوا جميعاً على ولادة محمد بن الحسن العسكري ووجوده،

وذكر أحد الباحثين المعاصرين انه وقف على تصريحات مائة وثمانية وعشرين عالماً من علماء أهل السنة المسلمين بولادة محمد ابن الحسن المهدي[٢٥]. وما أدري كيف صارت هذه الأقوال والروايات جميعاً صفرا على الشمال وبحكم العدم في نظر ادعياء التحقيق والتدقيق؟!!.

وما دام هؤلاء الأعلام الذين ذكرناهم قد أجمعوا على الاقرار بهذه الحقيقة الصارخة المدوّية فلا يهمنا بعد ذلك وجود من يريد سلوك طريق العناد والمجادلة بغير الحق.

★ ★ ★

ثم نعود الى مازعمه الزاعمون من أن الإمام العسكري(ع) لم يعلن أمر هذا الولد، وان أي أحد لم يكن يعلم مولد هذا الابن في حياة أبيه، فنجد أن ذلك زعم مفضوح البطلان، لما ورد من الروايات عن أصحاب الإمام العسكري، وقد تحدث بعضها عن ولادته؛ وبعضٌ عن إخبار أبيه بمولده؛ وبعضٌ آخر عن رؤية قوم له وهو طفل صغير في حياة أبيه، مما ينفي ادعاء الدكتور عداب من أن فرضية ولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري ووجوده لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم.

---

[٢٥] مجلة تراثنا الصادرة في بيروت/العدد٤٣ــ٤٤/السنة١١/ص٧٤.

وجاء في الرواية عن أحمد بن اسحاق وسعد الأشعري إذ قال كلٌ منهما: "دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي العسكري(ع) وأنا اريد أن أسأله عن الخلف من بعده. فقال لي: يا أحمد بن اسحاق؛ ان الله تبارك وتعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها الى أن تقوم الساعة من حجةٍ لله على خلقه... فقلت له: يا ابن رسول الله؛ فمن الإمام والخليفة بعدك؟. فنهض مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلىٰ عاتقه غلام كأن وجهه الفجر ليلة البدر؛ من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن اسحاق؛ لولا كرامتك على الله عزوجل وعلى حججه ما عرضتُ عليك ابني هذا، انه سميُّ رسول الله(ص) وكنيُّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً"[٢٦].

وحدَّث الراوندي عن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال: "وجَّه قوم من المفوضة كاملَ بن ابراهيم المدني الى أبي محمد(ع) قال: فدخلتُ عليه... وجلستُ الى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فاذا أنا بفتىً كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، يعني به محمد بن الحسن"[٢٧].

---

[٢٦] كمال الدين: ٢١٦ وكشف الغمة: ٣/٣٣٣.

[٢٧] غيبة الطوسي: ٢٤٦ـ٢٤٧ والخرائج والجرائح: ١/٤٥٨ـ٤٥٩.

وروى الحافظ القندوزي الحنفي: ان الامام العسكري "أرى ولده القائم المهدي لخواص مواليه"، وانه "عرضه على أصحابه" في اليوم الثالث من ولادته وعلى "مَنْ كان في منزله وكانوا أربعين رجلاً" منهم معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري[٢٨]، وكان هؤلاء الأصحاب قد دخلوا عليه للتهنئة بولده بعد ولادته[٢٩].

وجاء في خبر أحمد بن الحسن بن أحمد القمي قال: لما وُلد الخلف الصالح ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي(ع) على جدي أحمد بن اسحاق كتابٌ "واذا فيه مكتوب بخط يده(ع) الذي كان ترد به التوقيعات منه عليه: وُلد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه الا الأقرب لقرابته؛ والوليَّ لولايته، أحببنا إعلامك ليسرَّك الله به مثل ما سرَّنا به. والسلام"[٣٠].

وورد فيما حدَّث به أحمد بن ابراهيم قال: "دخلتُ على خديجة بنت محمد بن علي الرضا(ع) أخت أبي الحسن صاحب العسكر(ع) في سنة اثنتين وستين ومائتين بالمدينة، فكلمتها من

---

[٢٨] كمال الدين: ٢٤١ و٢٤٢ وبحار الأنوار: ٢٦/٥٢ وينابيع المودة: ٤٦٠.

[٢٩] غيبة الطوسي: ٢٣٠ وبحار الأنوار: ١٦/٥١ و١٧.

[٣٠] كمال الدين: ٢٤٢ و بحار الأنوار: ١٦/٥١.

وراء حجاب، وسألتها عن دينها، فسمّتْ لي مَنْ تـــأتمّ بهـــم ثم قالت: والخلف الزكي ابن الحسن بن علي أخي. فقلـــتُ لهـــا: جعلني الله فداك؛ معاينةً أو خبراً؟، فقالت: خبراً عن ابن أخي أبي محمد(ع) كتب به الى أمّه"[٣١]. الى آخر ما حملته الروايات بهـــذا الشأن كما يأتي بيانه في الفصل الآتي.

ويضاف الى ذلك كله ما تحدثت به عدة روايـــات عمـــن رآه من خواص أبيه وهو طفل صغير[٣٢]، أو رآه على عاتق أبيـــه وهو في الثالثة من العمر[٣٣]، أو نصّتْ على رؤية بعضهم له بعـــد وفاة أبيه[٣٤] وفي بعضها التصريح من الراوي بأنه رآه "وهو غلام أيفع" وانه قبّل يديه ورأسه[٣٥].

★ ★ ★

---

[٣١] اثبات الوصية: ٢٢٨ــ٢٢٩.

[٣٢] الكافي: ١/٣٣٠ــ٣٣٢ و٥١٤ــ٥١٥ واثبات الوصيـــة: ٢٢٠ وغيـــبة الطوسي: ٢٦٩ واعـــلام الـــورى: ٢/٢٤٨ و٢٥٢ والخرائـــج والجرائـــح: ٢/٩٥٧ــ٩٥٨ و٣/١١١١ــ١١١٢ وكشف الغمة: ٣/٣٠٢ــ٣٠٣.

[٣٣] بحار الأنوار: ٥٢/٢٤.

[٣٤] كشف الغمة: ٣/٣٤١ وبحار الأنوار: ٥٢/١٤ و٢٥ــ٢٦.

[٣٥] غيبة الطوسي: ٢٦٨ وينابيع المودة: ٤٦١.

أما ما ذكرته هذه الفئة ــ ومنهم (كاتبهم) المشار اليـــه ــ من أن الاختلاف في تحديد تاريخ ولادة محمد بن الحسن المـــهدي في اليوم والشهر والسنة دليل على قيام روايات وجـــوده علـــى التخرص والتخمين؛ فهو برهان قاطع على جهلهم الفاضح وعدم اطلاعهم على كتب الأخبار ومصادر التـــاريخ، لأن اختـــلاف الروايات في تواريخ الولادات والوفيات بارز للعيان في كثـــير من سير الأشخاص وشؤون الأحداث.

وحسبنا من كل تلك الشواهد في مقام إثبات جهل هـــؤلاء اللابسين كذباً لبوس البحث والتحقيق ما نجده في كتب الـــسيرة والحديث والتاريخ من الاختلاف في تعيين يوم ولادة النـــبي(ص) والشهر الذي وُلِدَ فيه[٣٦]، والاختلاف في تعيـــين يـــوم بعثتـــه

---

[٣٦] ولد في الثاني من ربيع الأول أوالثامن أوالعاشر أوالثاني عشر أوالسابع عشـــر أولثمان بقين منه، أو في شهر رمضان.

يراجع: (سيرة ابن هشام: ١/١٦٧ وتاريخ اليعقوبي: ٢/٤ وطبقات ابـــن سعد: ١/ق١/٦٢ وانساب الأشراف: ١/٩٢ وتـــاريخ الطـــبري: ٢/١٥٦ والكافي: ١/٤٣٩ والاستيعاب: ١/١٣ وتهذيب الطوسي: ٦/٢ والمنـــاقب: ١/١١٨ والبداية والنهاية: ٢/٢٦٠).

وشهرها أيضاً[٣٧]، ثم اختلافهم في تعيين يوم وفاته وشهرها[٣٨] مع أنها من أهم حوادث التاريخ التي هزت المجتمع هزاً عنيفاً والى أبعد الحدود.

فهل يرى هؤلاء الكتّاب من باحثي آخر الزمان في هذا الخلاف في تحديد تلك التواريخ المتعلقة بسيد خلق الله وخاتم أنبيائه دليلاً على أن الأمر كله كان قائماً على التخرص والتخمين؟!!.

★ ★ ★

---

[٣٧] بُعث لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، أو لسبع وعشرين من رجب، أولثمان من ربيع الأول، أوغير ذلك.

يراجع في هذه الأقوال: (سيرة ابن هشام: ٢٤٩/١ وتاريخ اليعقوبي: ١٥/٢ وتاريخ الطبري: ٢٩٤/٢ والاستيعاب: ١٣/١ وتهذيب الطوسي: ٢/٦ والمناقب: ١١٩/١ ونهاية الأرب: ١٦٩/١٦).

[٣٨] توفي لليلتين بقيتا من صفر، أو في أول يوم من شهر ربيع الأول، أو لليلتين خلتا منه، أولعشر خلون منه، أو لإثنتي عشرة ليلة خلت منه.

يراجع في ذلك: (تاريخ اليعقوبي: ٩٣/٢ وطبقات ابن سعد: ٢/ق٢/٥٧و٥٨ وتاريخ الطبري: ٢٠٠/٣ ودلائل النبوة: ٢٠١/٧ و٢٣٤ و٢٣٥ والاستيعاب: ١٣/١و٢٠ وتهذيب الطوسي: ٢/٦ والمناقب: ١٢٢/١ وشرح نهج البلاغة: ٣٥/١٣ والبداية والنهاية: ٢٥٥/٥و٢٥٦.

وأما وصية الإمام العسكري(ع) الى أُمّه فلم تكن لدى العارفين بملابسات الظروف المحيطة بذلك دليلاً على عدم وجود الولد كما تقوّل المتقولون. ونكتفي في الجواب على هذا الوهم بما ذكره الشيخ الطوسي بياناً لحقيقة الأمر إذ قال:

"إن قيل: كيف يجوز أن يكون للحسن بن علي ولدٌ مع اسناده وصيته في مرضه الذي توفي فيه الى والدته المسماة بحديث والمكناة بامّ الحسن؛ بوقوفه وصدقاته... ولو كان له ولد ذكرٌ لذكره في وصيته؟".

"قيل: انما فعل ذلك قصداً الى تمام ما كان غرضه في إخفاء ولادته وستر حاله عن سلطان الوقت... وهو احتاج الى الإشهاد عليها وجوه الدولة وأسباب السلطان وشهود القضاة، ليتحرس بذلك وقوفه ويتحفظ صدقاته؛ ويتم به الستر على ولده باهمال ذكره".

"وقد فعل نظير ذلك الصادقُ جعفر بن محمد(ع) حين أسند وصيته الى خمسة نفرٌ أولهم المنصور إذ كان سلطان الوقت، ولم يفرد ابنه موسى(ع) بها إبقاء عليه، وأشرك معه الربيع (الوزير) وقاضي الوقت وجاريته أم ولده حميدة؛ وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر(ع) لستر أمره وحراسة نفسه... ولو لم يكن

موسى ظاهراً مشهوراً في أولاده لما ذكره في وصيته... كما فعل الحسن بن علي والد صاحب الزمان"[39].

★ ★ ★

وأما اختلاف المؤرخين في اسم امه فيرجع السبب فيه الى الحرص على كتمان اسمها من بين جواري الامام ــ كما سلفت الاشارة اليه في صدر هذا الفصل ــ، لئلا تقع تحت طائلة المطاردة أو الاعتقال إنْ عُرف شخصها بالذات، أو تُوجّه نحوها الضغوط المرعبة للتعرف منها على أخبار ابنها وأخذ المعلومات عن مكان اختفائه. وليس في ذلك الاختلاف بعد وضوح سببه أي دليل على نفي وجودها أو وجود ولدٍ لها كما يشيع المغرضون.

وروى بعض المؤرخين ان هذا الاختلاف في اسم الام كان مدعاة لأن يوكّل "السلطان في الوقت الذي توفي فيه الحسن بن علي العسكري(ع) بداره وجواريه مَنْ يتفقد حملهن لكي يظفر بولده وبقيته"[40]، وذلك بعد يأس السلطة من العثور على ولد موجود للإمام بعد كبس الدار والبحث عنه فيها[41].

---

[39] الغيبة للطوسي: ١٠٧ــ١٠٨، ويراجع في ذلك أيضاً كتاب الفصول العشرة للشيخ المفيد: ١٣و١٤.

[40] كشف الغمة: ٣/٣٤٥.

[41] الخرائج والجرائح: ١/٤٦٠.

وجاء في رواية الكليني: ان السلطان بعث الى داره "مَنْ فتشها وفتش حجرها... وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن الى جواريه ينظرن اليهن، فذكر بعضهن ان هناك جارية بها حمل، فجُعلت في حجرة ووُكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم"، "ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي تُوُهّم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل"[42].

وحدّث الراوندي: ان المعتمد العباسي وجّه بخدمه فقبضوا على الجارية التي كانوا يظنون أنها أُم محمد، "فطالبوها بالصبي فانكرته، وادعتْ حيلاً بها لتغطي حال الصبي، فسُلّمتْ الى ابن ابي الشوارب القاضي"، ثم سرعان ما مات الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان فجأة، ووردت الأنباء بخروج صاحب الزنج بالبصرة، "فشُغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم"[43].

★ ★ ★

وأما حضور حكيمة ابنة الإمام الجواد(ع)[44] الولادة يومها وقيامها مقام القابلة ــ كما تقدم بيانه في صدر هذا الفصل،

---

[42] الكافي: ١/٥٠٥.

[43] الخرائج والجرائح: ٣/١١٠٣ــ١١٠٤.

[44] توفيت حكيمة ابنة محمد بن علي الرضا(ع) في سنة ٢٧٤هـ، ودفنت مما يلي رجلي الامامين العسكريين، وقبرها في الروضة العسكرية معروف يزوره الزائرون.

وكما نصّ عليه ابن حزم راوياً له عن جماعة من معاصري ولادة الامام المهدي(ع) [45] ــ فليس فيه ما يبعث على الغرابة أو يثير التساؤل، بعد معرفة التزام الامام العسكري وجميع أهل داره بكتمان خبر هذه الولادة وعدم إعلانها على رؤوس الأشهاد.

ولعل من أوضح الشواهد على جهل هذا الكاتب وأفراد فريقه بأحكام الفقه ومسائل الشريعة عدّهم خبر الولادة من أخبار الآحاد التي لايمكن الاحتجاج بها لانفراد حكيمة بحضور تلك الولادة، ولو رجعوا الى ما ذكره الفقهاء المسلمون في أحكام الشهادات لرأوا النص على الاكتفاء بشهادة النساء وحدهن فيما لايصح أن يطلع عليه غيرهن من عورات النساء وحملهن وحيضهن وشؤون الولادة والرضاع، بل النص على الاكتفاء بشهادة المرأة الواحدة في مثل ذلك [46]، وهو أمر لايحتاج لدى جمهور العارفين الى مزيد شرح وتطويل. ولوضوح ذلك قال الشيخ الطوسي معلقاً عليه: "على أن الولادة في الشرع قد استقر بقول القابلة ويحكم بقولها في كونه حياً أو ميتاً" [47].

★ ★ ★

[45] الفصل: ٤/١٨١.

[46] يراجع في التفاصيل على سبيل المثال: كتاب المحلّى: ١٠/٢٦٧ــ٢٧٠.

[47] غيبة الطوسي: ٨١.

وأما ما طبّل به المطبّلون من دلالة ما رُوي من إقبال عامة الشيعة على تعزية جعفر بن علي بوفاة أخيه [48] على عدم وجود ولدٍ للامام العسكري فهو من أتفه وجوه الاستدلال؛ بل من أوهى ما يمكن أن يقال؛ اذا ما وقفنا على تفصيل أفاعيل جعفر هذا في ذلك اليوم.

ويقول الشيخ المفيد متحدثاً عما وقع أيام وفاة الامام العسكري(ع): ان جعفر بن علي أخا الامام أبي محمد(ع) تولّى أخذ تركة أخيه، "وسعى في حبس جواري أبي محمد واعتقال حلائله، وشنّع على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بامامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم... واجتهد في القيام عند الشيعة مقام أخيه، ولم يقبل أحد منهم ذلك ولا اعتقده فيه" [49].

وقال الفضل الطبرسي: "إن جعفراً تولى أخذ تركة أخيه بعد وفاته، "وسعى الى السلطان في حبس جواري أبي

[48] توفي جعفر هذا في سنة ٢٧١هـ وهو ابن خمس واربعين سنة، ودفن في دار أبيه.

[49] الارشاد: ٣٧١ــ٣٧٢.

محمد(ع)... واجتهد في القيام مقامه فلم يقبله أحد من الطائفة؛ بل تبرأوا منه ولقبوه الكذاب"[٥٠].

وقال ابن الصباغ المالكي: ان جعفراً استولى على تركة أخيه، "وسعى في حبس مواليه، وشنع على أصحابه عند السلطان، وذلك لكونه أراد القيام عليهم مقام أخيه فلم يقبلوه لعدم أهليته لذلك ولا ارتضوه"[٥١].

واشتهرت الرواية في المصادر عن أحمد بن الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان انه قال: لما دُفن الامام العسكري "جاء جعفر أخوه الى أبي فقال: اجعل لي مرتبة أخي وأنا أُوصل اليك في كل سنة عشرين ألف دينار. فزبره أبي وأسمعه ماكره وقال له: يا أحمق؛ السلطان ــ أطال الله بقاءه ــ جرَّد سيفه في الذين زعموا ان أباك وأخاك أئمة ليردَّهم عن ذلك فلم ينتهِ له ذلك، فإن كنتَ عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك الى سلطان يرتِّبك مراتبهم ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم

[٥٠] اعلام الورى: ١٥١/٢ــ١٥٢.

[٥١] الفصول المهمة: ٢٧٢.

تبلها بنا. فاستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه وامر أن يُحجب عنه"[٥٢].

وقال الطوسي والمجلسي معلّقين على موضوع جعفر وافعاله وادعاءاته:

"أما إنكار جعفر بن علي صاحب الزمان أن يكون ولدا لأخيه الحسن بن علي وُلد في حياته... فليس يعتمد على مثله احدٌ من المحصّلين، لاتفاق الكل على أن جعفرا لم تكن له عصمة كعصمة الأنبياء... بل الخطأ جائز عليه والغلط غير ممتنع منه، وقد نطق القرآن بما كان من ولد يعقوب مع أخيهم يوسف وطرحهم اياه في الجب... وهم أولاد الأنبياء... فاذا جاز منهم مثل ذلك مع عظم الخطأ فيه فلم لا يجوز مثله من جعفر بن علي مع ابن اخيه"[٥٣].

وأضيف الى التعليق المتقدم؛ مشيرا الى ماحدثنا به القرآن الكريم من قتل أحد ابني آدم لأخيه، والى ما رواه المؤرخون مجمعين من أفاعيل بعض الأعمام بأبناء اخوتهم كفعل أبي لهب ــ بنت يداه ــ بابن أخيه النبي الأعظم(ص)؛ وكفعل العباس بن

[٥٢] الكافي ٥٠٦/١ والارشاد ٣٦٦ واعلام الورى ١٥٠/٢ والمناقب ٤٥٧/٢ وكشف الغمة ٢٠٥/٣

[٥٣] بحار الأنوار ٢٠١/٥١ــ٢٠٢ والغيبة للطوسي ١٠٦ــ١٠٧

عبدالمطلب في خروجه مع جيش المشركين في بدر لحرب ابن أخيه، والى آخر ما ورد في مصادر التاريخ من الأشباه والنظائر لهذه المواقف السيئة التي وقفها بعض الاخوة والأعمام، مما لم يجد فيها أي عاقل حصيف دليلاً على نفي النسب أو انكار القربى والحسب أو الشك في الولادة والوجود، بل لم يفهم الناس منها ــ على فظاعتها ــ سوى هيمنة غرائز الشر والسوء على سلوك أولئك القائمين بتلك الأعمال المنكرة والتصرفات الذميمة المرفوضة.

★ ★ ★

وخلاصة القول الذي نختم به هذا الفصل المعني بولادة الامام محمد بن الحسن المهدي(ع): ان الشيء الثابت القطعي الذي ترشدنا اليه هذه الالمامة السريعة بشبهات الجاهلين والمغرضين ووضوح ما أسلفنا ذكره في إثبات زيفها وبطلانها؛ انه لم يبق في قوس هؤلاء المشككين مزع لسهامهم؛ ولم يوفقوا في جميع ما دونوا وجعجعوا به من ظنون وأوهام الى طرح ما يقنع ويصمد أمام ما سبق شرحه وبيانه.

وما أدري هل كان هؤلاء "القوم" المدّعون للبحث العلمي جادّين حقاً ومدركين بوعي لمعنى قولهم: بأن الكتب (المعتبرة!!) قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد، أم انهم

عنوا بها أوراقاً ــ بالخصوص ــ من مدوّنات (سلفهم) المعاند المتعصب أو (خلفهم) اليهودي المتستر، وإن خالفت صراحة وعلناً جميع ما أورده المحدثون والمؤرخون المسلمون؛ على اختلاف المذاهب والآراء والعصور والقرون؟!!.

وهل يرى القارئ الخبير البصير بعد كل ما تقدّم ان بامكان تلك المغالطات والمزاعم المتخذة من اختلاف تاريخ الولادة أو اسم الأُم أو مسألة الوصية منطلقاً للتردد والتشكيك، أن تمسخ الأحداث وتطمس الحقائق وتقلب وقائع التاريخ رأساً على عقب؟؟.

ونكتفي هنا في ختام هذا الحديث لزيادة الايضاح أن ننقل ما علّق به الشيخ الطوسي محمد بن الحسن على ذلك فقال في جملة كلامه:

"ان ستر ولادة صاحب الزمان(ع) ليس بخارق للعادات، إذ جرى أمثال ذلك فيما تقدم من أخبار الملوك، وقد ذكره العلماء... ومن ذلك ماهو مشهور كقصة كيخسرو وما كان من ستر امه حملها واخفاء ولادتها... وكان جده كيقاوس أراد

قتل ولده فسترته أمه الى أن ولدته، وكان من قصته ماهو مشهور في كتب التاريخ" ومنها تاريخ الطبري[٥٤].

"وقد نطق القرآن بقصة ابراهيم(ع) وان امه ولدته خفيـاً وغيبته في المغارة حتى بلغ وكان من أمره ما كان، وما كان من قصة موسى(ع) فان أمه ألقته في البحر خوفا عليه واشفاقا من فرعون عليه، وذلك مشهور نطق به القرآن".

"ومثل ذلك قصة صاحب الزمان(ع) سواءً فكيف يقال ان هذا خارج عن العادات"[٥٥].

★ ★ ★

والحمدلله الذي هدانا لمعرفة الحق ونهج الرشاد بلطفه ومنه، ووفقنا لتجنُّب مسالك التضليل والتهريج بتسديده وفضله، وماكنا لنهتدي الى ذلك لولا أن هدانا الله تعالى بكرمه ورحمته.

---

[٥٤] تاريخ الطبري: ١/٥٠٦.

[٥٥] غيبة الطوسي: ١٠٥ــ١٠٦.

الإمام محمّد بن الحسن "المَهْديّ"

بين

إمامته وغَيْبَتِه

في سنة ٢٦٠هـ كما اجمعت روايات المؤرخين؛ توفي الامام الحسن العسكري(ع)؛ فخلت الساحة الاسلامية من امامها الشرعي المفترض الطاعة والجامع لشرائط الامامة وصفاتها المقررة في الفقه الاسلامي، وأصبح ابنه محمد بن الحسن منذ هذا اليوم هو الامام من بعده بالنص والتعيين.

وكان الدليل على إمامته ـ كما يقول الباحث الطبرسي ـ ذا ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: "النصُّ عليه من جهة أبيه خاصة".

الوجه الثاني: "النصُّ على عدد الأئمة الاثني عشر".

الوجه الثالث: "النصُّ عليه بذكر غيبته وصفتها ووقوعها على الحد المذكور"[1].

ونورد فيما يأتي بعض التفاصيل في بيان ما يتعلق بكل وجه من هذه الوجوه الثلاثة؛ فنقول وبالله الاستعانة:

---

[1] إعلام الورى: ٢/٢٥٧.

الوجه الأول من أدلة الامامة: نصُّ أبيه عليه:

وكانت نصوص الامام العسكري على كون ابنه محمد هو الامام من بعده كثيرة جداً على الرغم من التزام التكتم وقسوة الظروف وخشية السلطان، وكانت احدى تلك الروايات ما حدَّث به أبو الأديان خادم الامام الحسن(ع) وحامل كتبه الى وكلائه في الأمصار، قال:

"كنتُ أخدم الحسن بن علي العسكري(ع) وأحمل كتبه الى الأمصار، فدخلتُ عليه في علته التي توفي فيها وكتب معي كتباً فقال: امض بها الى المدائن، فانك ستغيب... وتدخل الى سُرَ من رأى... وتسمع الواعية في داري... قال أبوالأديان: فقلت: ياسيدي فاذا كان ذلك فمَنْ؟ قال: مَنْ طالبك بجوابات كتبي".

قال أبوالأديان: "وخرجتُ بالكتب الى المدائن وأخذتُ جواباتها، ودخلتُ سرمن رأى يوم الخامس عشر... فاذا أنا بالواعية في داره... واذا أنا بجعفر الكذاب أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الامام فقد بطلت الامامة، لأني كنتُ أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمتُ... فلم يسألني عن شيء... فلما صرنا في الدار اذا نحن بالحسن بن علي(ع) على

نعشه مكفَّناً... ثم خرج صبي بوجهه سمرة وبشعره قطط وبأسنانه تفلُّج... فتقدم الصبي وصلى عليه... ثم قال لي: يا بصري؛ هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها اليه — الى آخر الرواية —"[٢].

وجاء في الخبر عن علي بن محمد المعروف بابن بندار عن محمد بن علي بن بلال قال:

"خرج إليَّ من أبي محمد قبل مضيِّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج اليَّ من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده"[٣].

وحدَّث الصدوق بسنده عن أحمد بن اسحاق بن سعيد قال:

"سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي العسكري(ع) يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله(ص) خَلْقاً وخُلُقاً، يحفظه الله تعالى في غيبته ثم يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً"[٤].

---

(٢) كمال الدين: ٢٦٢ والخرائج والجرائح: ١١٠١/٣ــ١١٠٣.
(٣) اصول الكافي: ٣٢٨/١.
(٤) كمال الدين: ٢٢٨.

وروى أيضا بسنده عن محمد بن عثمان العمري قال: سمعتُ أبي يقول:

"سئل أبو محمد الحسن بن علي(ع) وأنا عنده عن الخبر الذي رواه عن آبائه(ع) ان الأرض لاتخلو من حجةٍ لله على خلقه الى يوم القيامة؛ وان من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟، فقال: ان هذا حق كما ان النهار حق. فقيل له: يابن رسول الله؛ فمن الحجة والامام بعدك؟، فقال: ابني محمد هو الامام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما ان له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقّاتون"[٥].

وروى أيضاً بسنده عن أبي الفضل الحسين بن الحسن العلوي قال:

"دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي(ع) بسرّمن رأى فهنّأته بولادة ابنه القائم"[٦].

الى غير ذلك من الروايات عن الامام العسكري ــ وقد تقدم ذكر بعضها في الفصل الأول عند الحديث عن ولادة الامام

---

[٥] كمال الدين: ٢٢٨.

[٦] كمال الدين: ٢٤٢ وغيبة الطوسي: ٢٣٠ و٢٥١.

المهدي ــ، وهي من الكثرة والوفرة بمكان، بل تكاد على اختلاف ألفاظها ومناسباتها معدودة في المتواتر معنى ومضموناً، ويستطيع الراغب بالوقوف عليها مراجعتها في مظانها المعلومة[٧].

وهكذا يتضح ان ادعاء عدم إعلام الامام العسكري أصحابه بأمر هذا الولد مرفوض جملة وتفصيلاً، لكثرة الروايات الدالة لذلك والصريحة فيه كما مر، وقد تحدث بعضها عن إخبار أبيه بمولده؛ وبعضها عن التهنئة له بذلك؛ وبعضها عن رؤية قوم لهذا الولد وهو طفل صغير في حياة أبيه، وقد شاهدوا وجوده في حياته كما نصَّ على ذلك الشيخ الطوسي، وذكر ان هؤلاء المشاهدين له كانوا أصحاب الامام العسكري وخاصته والوسائط بينه وبين شيعته ينقلون اليهم عنه معالم الدين ويخرجون اليهم أجوبته في مسائلهم، "وهم جماعة كان الحسن بن علي(ع) عدّلهم في حياته، واختصهم امناء له في وقته... وكانوا أهل عقل

---

[٧] يراجع في مصادر ذلك: الكافي: ١/٣٢٨ــ٣٢٩ واثبات الوصية: ٢٠٥ و٢١٥ــ٢١٦ وكمال الدين وتمام النعمة (في كثير من صفحات الكتاب) والارشاد: ٣٧٥ و٣٧٦ والغيبة للطوسي (في كثير من فصول الكتاب وأبوابه) وإعلام الورى: ٢/٢٤٨ــ٢٥٣ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ و٢٤٦ و٣٣٤ــ٣٣٦ والفصول المهمة: ٢٧٤ وبحار الأنوار: ٥١/١٦٠ و١٦١ وينابيع المودة: ٤٦٠ــ٤٦٢.

وأمانة وثقة ظاهرة؛ ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكانوا معظَّمين عند سلطان الوقت لعظم أقدارهم وجلالة محلهم"[8].

أما ما أورده المشككون ــ ومنهم الدكتور عداب ــ من أن فرضية وجود محمد بن الحسن العسكري وولادته "لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم" فهو كلام لا يليق بأي متعلّم قوله والاقرار به، لأن الروايات المتعددة المأثورة عن أئمة أهل البيت(ع) جميعاً تبعاً للمأثور عن النبي(ص) صريحة في النص على هذا الحفيد والتبشير به قبل تولده بعشرات السنين، وقد حدّث بذلك الثقات من أصحابهم، بل يصح أن يعدّ هذا النص والتبشير ــ بالاضافة الى كونه دليلاً نقلياً صحيح الاسناد ــ بمثابة ملحمة تاريخية إعجازية ناطقة بوجوده وولادته قبل وقوعها بزمن غير قليل.

ولوضوح ذلك كله وقبح محاولات إنكاره وتكذيبه حاول (كاتبهم) ذو الاسم المستعار أن يخفف من ذلك القبح فلم ينكر أخبار المهدي ولكنه قال: ان تاريخ أهل البيت ورواياتهم تقول"بغموض شخصية المهدي ورفض تحديده" و"ان الأحاديث الصادرة عن أهل البيت أو الرائجة في أيامهم كانت تتحدث

---

[8] غيبة الطوسي: ١٠٨ــ١٠٩.

بشكل مجهول وغامض عن القائم المهدي، ولا تحدده بالذات مَنْ هو، ولاتشخصه بالضبط، وانما تتحدث عن صفاته وعلامات خروجه وشروط قيامه"[9].

وجليّ لكل ذي عينين ان روايات أهل البيت ــ وقد تقدم ايراد بعضها وبأتي بعض آخر منها ــ صريحة كل الصراحة في تحديد "شخصية المهدي" بلا "غموض" ولاخفاء؛ وليس فيها مايصح أن يقال عنه بأنه "مجهول وغامض".

وخلاصة القول ــ كما نصَّ عدد من الباحثين القدامى ــ ان "أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة(ع) بل زمان أبيه وجدّه... وخلدها المحدّثون من الشيعة في اصولهم المؤلفة في أيام السيدين الباقر والصادق(ع)، واثروها عن النبي(ص) والأئمة واحداً بعد واحد... ومن جملة ثقات المحدثين والمصنفين من الشيعة: الحسن بن محبوب الزراد، وقد صنف كتاب المشيخة الذي هو في أصول الشيعة... قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة، فذكر فيه بعض ما أوردناه من أخبار الغيبة، فوافق الخَبَرُ الخَبَرَ، وحصل كل ما تضمنه الخبر بلا اختلاف"[10].

---

[9] كتابه: ٧١ و٧٦.

[10] إعلام الورى: ٢/٢٥٧ــ٢٥٨ وكشف الغمة: ٣/٣٣٦ــ٣٣٧.

وكان المتقدمون من المحدثين والمورخين ـ ومن اوائلهم الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٨١هـ ـ قد أولوا هذا الموضوع اهتمامهم الخاص في مؤلفاتهم وكتبهم، وأورد الصدوق المذكور في كتابه كمال الدين وتمام النعمة أبواباً تضمنت النصوص النبوية على المهدي وكونه الثاني عشر من الأئمة(ع)، ثم نصوص الزهراء وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليهماالسلام) على ذلك، وكذلك نصوص الأئمة التالين لعلي ابتداء من الحسن بن علي فالحسين بن علي فأولاده واحداً بعد آخر عليهم السلام[11].

ونورد من جملة تلك النصوص على سبيل المثال مارواه الصدوق بسنده عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال:

"سمعتُ دعبل بن علي الخزاعي يقول: لما أنشدتُ مولاي الرضا(ع) قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مقفر العرصات

فلما انتهيتُ الى قولي:

[11] يراجع في هذه النصوص: كمال الدين: ١٤٩ـ٢١٧.

خروج إمامٍ لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كلَّ حق وباطلٍ ويجزي على النعماء والنقمات

"بكى الرضا(ع) بكاء شديداً، ثم رفع رأسه اليَّ فقال لي: ياخزاعي؛ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري منْ هذا الامام ومتى يقوم؟، قلت: لاياسيدي، الا اني سمعتُ بخروج امام منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً. فقال: يادعبل؛ الامام بعدي محمد ابني، وبعد محمدٍ ابنه علي، وبعد عليٍّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وأما (متى) فإخبار عن الوقت، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي(ع) ان النبي(ص) قيل له: يارسول الله؛ متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مَثَله كمثل الساعة لايجلّيها لوقتها الا هو"[12] ويُعدُّ هذا النص الرضوي الصحيح السند وأمثاله من النصوص المأثورة عن النبي والأئمة في المهدي المنتظر وكونه ابن الحسن بن علي العسكري نصوصاً اعجازية لافتة للنظر، لصدورها قبل تاريخ ولادة الامام المهدي بعشرات السنين.

[12] عيون أخبار الرضا: ٣٧٠ وكمال الدين: ٢١٠ـ٢١١.

ويقول الشيخ الطوسي وهو يستعرض الأخبار الواردة عن رسول الله(ص) والأئمة(ع) في هذا الموضوع:

"موضع الاستدلال من هذه الأخبار ماتضمن الخبر بالشيء قبل كونه فكان كما تضمّنه، فكان ذلك دلالة على صحة ماذهبنا اليه من إمامة ابن الحسن، لأن العلم بما يكون لايحصل الا من جهة علام الغيوب، فلولم يُرَوِ الا خبر واحد ووافق مخبره ماتضمنه الخبر لكان ذلك كافياً، ولذلك كان ما تضمنه القرآن من الخبر بالشيء قبل كونه دليلاً على صدق النبي(ص) وأن القرآن من قبل الله تعالى، وإن كانت المواضع التي تضمنت ذلك محصورة، ومع ذلك مسموعة من مخبر واحد، لكن دلّ على صدقه من الجهة التي قلناها. على أن هذه الأخبار متواتر بها لفظاً ومعنى: فأما اللفظ فان الشيعة تواترت بكل خبرٍ منه، وأما المعنى فان كثرة الأخبار واختلاف جهاتها وتباين طرقها وتباعد رواتها يدل على صحتها، لأنه لا يجوز أن يكون كلها باطلة، وبذلك يستدل في مواضع كثيرة على معجزات النبي(ص) التي هي سوى القرآن وأمور كثيرة في الشرع تتواتر معنى وإن كان كل لفظ منها منقولاً من جهة الآحاد... ولذلك استدل على سخاء حاتم وشجاعة عمرو وغير ذلك بمثل ذلك؛ وإن كان كل واحدٍ مما

يروى من عطاء حاتم ووقوف عمرو في موقف من المواقف من جهة الآحاد"[١٣].

وهكذا يتجلى بوضوح من مجموع ماتقدم ان النصّ على إمامة محمد بن الحسن العسكري ــ من أبيه ومن سائر الأئمة السابقين عليه ــ ثابت ومسلّم لا يرقى اليه شك أو ترديد، الا مايمكن أن يدور في أذهان بعض الناس ممن لا يستحضرون النصوص القرآنية والأدلة الدينية المتلقاة بالقبول عند جميع المسلمين، فيقفون حائرين أمام صغر عمر هذا الفتى يوم صيرورته إماماً اثر وفاة أبيه، وربما دفعتهم هذه الحيرة الى التوقف في الاعتقاد بامامته أو رفضها بتوهم مانعية صغرالسن من ذلك.

ولابد لنا هنا من اعادة الاشارة والتأكيد على لباب المطلب في هذه المسألة وما كان على شاكلتها من المسائل الدينية، في كونها مستندة أولاً وأخيراً الى ارادة الله تعالى، بعيداً عن الأعراف الدنيوية المتداولة بين الناس، لأن قضية النبوة ــ وامتدادها الشرعي المتمثل بالامامة ــ جزء لا يتجزأ من الشؤون الالهية التي يعجز البشر عن إخضاعها لمقاييسهم المتعارفة وتقرير الأحكام بشأنها كما تملي أفكارهم وآراؤهم المستمدة من مشاهداتهم ونواميس عاداتهم، وقد أشار الى ذلك الشيخ المفيد

---

[١٣] الغيبة: ١٧٣ــ١٧٤.

محمد بن محمد بن النعمان وهو يتحدث عن صغر سن الامام المهدي حين امامته فقال:

ان سنّه كانت "عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين، وآتاه الحكمة كما آتاها يحيى صبيا، وجعله إماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبيا"[١٤].

أما من كان في شك من ذلك فلا مناص لازالة شكه من العودة به الى صلب المسألة ومنطلق البحث الأساس، فيسأل عن مدى عمق ايمانه بالقرآن الكريم وما جاء فيه من ضروب المعجزات وخوارق العادات؛ وبالحديث الصحيح وما ورد فيه من ذلك، إذ لايمكن الوصول الى النتائج والاتفاق عليها في شؤون الدين الا في ضوء الاقرار بهذين الأصلين الرئيسين اللذين يشكلان المصدر الثابت للاعتقاد السليم والايمان الخالص.

وكان الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين قد أفاض في شرح هذا الموضوع فأحسن وأجاد، وجاء في جملة ما قال:

ان "كلّ مَنْ سألنا من المخالفين عن القائم(ع) لم يخل من أن يكون قائلاً بامامة الأئمة الأحدعشر من آبائه عليهم السلام أو غير قائل بامامتهم. فإن كان قائلاً لزمه القول بامامة الامام

---

[١٤] الارشاد: ٣٧٢.

الثاني عشر، لنصوص آبائه الأئمة عليه باسمه ونسبه؛ واجماع شيعتهم على القول بامامته وأنه القائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وإن لم يكن السائل من القائلين بالأئمة الأحدعشر لم يكن له علينا جواب في القائم الثاني عشر من الائمة، وكان الكلام بيننا وبينه في إثبات امامة آبائه الأئمة الأحدعشر(ع). وهكذا لو سألنا يهودي فقال لنا: لِمَ صارت الظهر أربعاً والعصر أربعاً والعتمة أربعاً والغداة ركعتين والمغرب ثلاثاً، لم يكن له علينا في ذلك جواب، بل لنا أن نقول له: انك منكر لنبوة النبي الذي أتى بهذه الصلوات وعدد ركعاتها فكلّمْنا في نبوته واثباتها، فإن بطلت بطلتْ هذه الصلوات وسقط السؤال عنها، وان ثبتت نبوته لزمك الاقرار بفرض هذه الصلوات على عدد ركعاتها، لصحة مجيئها عنه واجتماع امته عليها عرفتَ علتها أم لم تعرفها. وهكذا الجواب لمن سأل عن القائم(ع)"[١٥].

وهذا هو فصل الخطاب ولب اللباب.

---

[١٥] كمال الدين: ٢٧.

الوجه الثاني من أدلة الامامة: النص النبوي على عدد الأئمة:

وكونهم اثني عشر لايزيدون ولاينقصون، وهو نص صريح على تعيين العدد وثبوته، ودالٌ على المطلوب اذا ما اضيف الى ماتقدم من نصوص إمامة محمد بن الحسن العسكري(ع)، وقد أورده ابن حزم جازماً قاطعاً وقال بعد ايراده: "هذه رواية جاءت مجيء التواتر"[16]، وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي بعد الاستشهاد به: "حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابياً"[17].

وكيف لايكون صحيحاً ومتواتراً وقد أخرجه المحدثون المسلمون جميعاً بأسانيدهم وطرقهم المعتمدة عندهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: البخاري ومسلم في صحيحيهما[18]، وأبو داوود والترمذي في سننهما[19] والامام أحمد بن حنبل في

---

(16) الفصل: ٤/٨٩.

(17) الصواعق المحرقة:٦.

(18) صحيح البخاري: ٩/١٠١ وصحيح مسلم: ٦/٣ و٤.

(19) سنن ابي داوود: ٢/٤٢١ وسنن الترمذي: ٤/٥٠١.

مسنده[20] والحافظ الطبراني في معجمه[21] وكثير غيرهم. ورواه ابن حنبل في بعض أسانيده بلفظ "الأئمة من قريش"[22]، وجاء في بعض ألفاظ الطبراني في رواياته: "يكون لهذه الامة اثنا عشر قيماً لايضرهم مَنْ خذلهم"[23]، وفي بعض آخر: "اثنا عشر قيماً من قريش لايضرهم عداوة من عاداهم"[24].

وواضح لكل قارئ لهذه الروايات ان الحصر العددي فيها غير قابل للتفسير والتأويل، لعدم امكان انطباقه بأي نحو من الأنحاء على من تولى شؤون السلطان في التاريخ الاسلامي ممن يطلق عليهم اسم (الخلفاء) و(امراء المؤمنين)، إذ لايمكن أن يحمل هذا الحديث ــ كما قال الحافظ القندوزي الحنفي ــ "على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر، ولايمكن أن يحمل

---

(20) مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٢٩ و١٨٣ و٤/٤٢١، و٥/٨٦ــ٩٠ و٩٢ و١٠٦.

(21) المعجم الكبير: ٢/٢١٤ــ٢١٦ و٢١٨ و٢٤٨ و٢٥١ و٢٧٧ و٢٨٣ و٢٨٥.

(22) مسند ابن حنبل: ٣/١٢٩ و١٨٣.

(23) المعجم الكبير: ٢/٢١٤.

(24) المصدر نفسه: ٢/٢٨٦.

على الملوك الاموية لزيادتهم على اثني عشر... ولايمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور"[٢٥].

وعلى الرغم من تواتر هذا الحديث ــ معنىً وحصر عدد ــ وصحته المسلّمة عند جميع المعنيين، فقد حكم (كاتب) فتةً التشكيك بضعفه وأبى الاقرار به، وقال في ضمن تعليقاته العجيبة على ما سماه "نظرية الاثني عشر" عند الشيعة:

"قام أصحاب النظرية باستيراد أحاديث من أهل السنة مروية عن رسول الله(ص) تشير الى عدد الخلفاء أو الامراء من بعده وتذكر رقم اثني عشر، وأضافوا اليها أحاديث اختلقوها بعد ذلك!!! تشير الى حصر الامامة في اثني عشر إماماً"، ثم طعن في جميع هذه الأحاديث قائلاً: انها "ضعيفة عند السنة ولايلتزم أحد بمضمونها"[٢٦].

وأضاف هذا (الكاتب) الى ذلك في موضع آخر من كتابه وهو يكرر رفضه لهذه الأحاديث فقال:

"الدليل النقلي الذي يعتمد على الروايات حول المهدي والأئمة الاثني عشر... انطلق في البداية من رواية سنية ضعيفة

[٢٥] ينابيع المودة: ٤٤٦.

[٢٦] كتاب الكاتب المذكور: ١١٠ــ١١١.

تحتوي على ذكر اثني عشر أميراً أو خليفة... وهي ليست واضحة في مضمونها ولامبينة لأسماء الخلفاء ولامقتصرة على اثني عشر خليفة"[٢٧].

وغير خفي على كل واقف على هذه الأقوال انها مجرد ادعاءات عريّة عن الدليل والبرهان، لأن ما زعمه من ضعف هذه الأحاديث مردود بورودها في الصحيحين المعروفين وفي غيرهما من مصادر الحديث الشهيرة بين المسلمين، وأما القول بأنها غير واضحة المضمون ولا مقتصرة على اثنى عشر خليفة فيكفينا في ردّه حثّه على مراجعة كتب اللغة العربية ومعجماتها ليفهم منها معاني ألفاظ الحديث، إذ ربما أنساه السكن الطويل في لندن معاني تلك الألفاظ فلم يعد يعرف المراد منها في هذا المقام.

وحسبنا في كشف جهل هذا الرجل بحقائق الدين ومفاهيم الحديث أن نذكر له ما أعلنه الدكتور عداب محمود المؤهّل لأن يكون شيخ هذه المجموعة وقطب رحاها؛ من أن إسناد حديث (الأئمة من قريش) صحيح لاشائبة فيه[٢٨] وحديث (الاثنى عشر)

[٢٧] كتاب الكاتب المذكور: ١٨٧.

[٢٨] المهدي المنتظر: ٢٨٠.

صحيح مشهور[٢٩]، وبذلك ألقم هؤلاء الأتباع المشككين جوابا مسكتا لايقوون معه على الاستمرار في ترداد هذه الأقاويل.

الوجه الثالث من أدلة الامامة: النص على اسم "المهدي" وغيبته:

وقد علم جميع الواقفين على مصادر الحديث الشريف ان هذا النص لم يكن خبرا واحدا أو اثنين، وانما هي مجموعة أخبار نبوية متواترة المعنى والمدلول ومتوحدة الهدف والسياق والاتجاه، وان لم تكن متطابقة تماما في اللفظ لتعد من المتواتر اللفظي، وقد تجاوزت العشرات عدا الى المئات، ورواها جمع غفير من الصحابة، وأخرجها عدد غفير أيضا من الحفاظ ونقلة الحديث. وبهذه الاستفاضة والتواتر لم يعد يصح علميا النقاش أو التردد في صحة هذه الأحاديث وفي القطع بما جاء فيها وبما دلت عليه.

واذا كان في بعض تلك الأحاديث مالم يكن قطعي السند وإن كان ظاهر المعنى والدلالة، فان قواعد علم الحديث المتفق عليها عند المعنيين توجب الأخذ بها والعمل بموجبها؛ لاعتضادها وانجبارها بالطائفة الاخرى الصحيحة السند والمسلمة الثبوت،

---

[٢٩] المهدي المنتظر: ٢٨٣.

ولذلك تداول الجمهور رواية الجميع لاجماعهم على مضمونها بالقطع واليقين.

ويمكننا ايجاز مدلول تلك الأحاديث وتصنيفها على النحو الآتي:

١ــ الروايات المصرّحة بكون المهدي من قريش:

كقول النبي(ص): "ابشركم بالمهدي، رجل من قريش من عترتي، يبعث في امتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً"[٣٠].

٢ــ المهدي من أولاد عبدالمطلب:

كقول النبي(ص): "نحن سبعة من ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعليّ وجعفر والحسن والحسين والمهدي"[٣١].

٣ــ المهدي من العترة:

من أهل البيت:

من آل محمد(ص):

---

[٣٠] الصواعق المحرقة: ٩٩ والحاوي: ١٢٤/٢ واسعاف الراغبين: ٢٤٣.

[٣١] سنن ابن ماجة: ١٣٦٨/٢ والفصول المهمة: ٢٧٦ والحاوي: ١٢٤/٢ وينابيع المودة: ٤٣٥.

كقول النبي(ص): "المهدي من عترتي"[٣٢] أو قوله(ص): "المهدي منا أهل البيت"[٣٣] أو قوله(ص): "لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً"[٣٤] أو قوله(ص): "لاتذهب الدنيا ــ أو لاتنقضي الدنيا ــ حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي"[٣٥] أو قوله(ص): "لاتقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً ثم يخرج من عترتي ــ أو من أهل بيتي ــ من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً"[٣٦]. وقال الشيخ الشبلنجي: "تواترت الأخبار عن النبي(ص) ان المهدي من أهل بيته وانه يملأ الأرض عدلاً"[٣٧].

---

[٣٢] سنن أبي داود: ٤٢٢/٢ والصواعق المحرقة: ٩٧ والحاوي: ١٢٤/٢ واسعاف الراغبين: ١٣١.

[٣٣] سنن ابن ماجة: ١٣٦٧/٢.

[٣٤] سنن أبي داوود: ٤٢٢/٢ والصواعق المحرقة: ٩٧ والفصول المهمة: ٢٧٣ والحاوي: ١٢٥/٢ ونور الأبصار: ١٥٧.

[٣٥] سنن الترمذي: ٥٠٥/٤ ومسند ابن حنبل: ٣٧٦/١ و٣٧٧ و٤٣٠ و٤٤٨ وتذكرة الحفاظ: ٤٨٨/٢ والحاوي: ١٢٥/٢.

[٣٦] مسند ابن حنبل: ٣٦/٣.

[٣٧] نورالأبصار: ١٥٧.

٤ــ المهدي من أولاد علي(ع):

كقول النبي(ص): "ان علياً وصيي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً"[٣٨] وقوله(ص) وقد أخذ بيد علي(ع): "سيخرج من صلب هذا فتىً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً"[٣٩].

٥ــ المهدي من أولاد فاطمة(ع):

كقول النبي(ص): "المهدي من عترتي من ولد فاطمة"[٤٠] وقال السهيلي في شرح السيرة وهو يتحدث عن فضائل فاطمة الزهراء(ع): "ومن سؤددها أيضاً ان المهدي المبشَّر به آخر الزمان من ذريتها"[٤١].

---

[٣٨] ينابيع المودة: ٤٤٨.

[٣٩] الحاوي: ١٣٠/٢.

[٤٠] سنن ابي داوود: ٤٢٢/٢ وسنن ابن ماجة: ١٣٦٨/٢ والمستدرك على الصحيحين: ١٦٦١ والبيان: ٦٤ وسير أعلام النبلاء: ٤١٧/١١ والفصول المهمة: ٢٧١ والصواعق المحرقة: ٩٧ والحاوي: ١٢٤/٢ و١٣٧. ومما ينبغي ذكره تعقيباً على هذا الحديث ان الحافظ الهيتمي في صواعقه والشيخ الصبان في الاسعاف قد نصّا على وروده في صحيح مسلم ولكني لم أجده في طبعة محمدعلي صبيح القاهرية.

[٤١] الروض الانف: ٢٨٠/١.

٦ــ المهدي من أولاد الحسين(ع):

كقول النبي(ص) من جملة حديث طويل: "ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الامة"[٤٢]، وقوله(ص) ايضاً: "لاتذهب الدنيا حتى يقوم بامتي رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً"[٤٣].

أما ما روى ابو داوود في سننه من حديث أبي اسحاق السبيعي من قول علي(ع) وقد نظر الى ابنه الحسن فقال: "ان ابني هذا سيد كما سماه النبي(ص)، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ــ الى آخر الحديث ــ"[٤٤] فلا يمكن تصحيحه وقبوله، لأن ابا داوود رواه عن مجهول لم يُسَمِّه بل اكتفى بالقول: "حُدِّثتُ عن هارون"، ولأن الحديث منقطع لعدم سماع أبي اسحاق من علي(ع) وهو المولود لسنتين بقيتا من خلافة عثمان كما نصَّ ابن حجر، ولاحتمال طروء التصحيف بين الحسن والحسين(ع)، مضافاً الى ان هذا الحديث مما تفرد به ابوداوود ولم يخرجه غيره.

---

(٤٢) البيان: ٨٢.

(٤٣) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٤٤) سنن أبي داوود.

٧ــ المهدي التاسع من ذرية الحسين(ع):

كما في رواية سلمان الفارسي قال: "دخلت على النبي(ص) فاذا الحسين على فخذيه، وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول: أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن امام أخو امام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدي"[٤٥].

٨ــ المهدي ثاني عشر الأوصياء وثاني عشر الأئمة:

كقول النبي(ص) في حديث طويل: "... ان وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين... اذا مضى الحسين فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه محمد، فاذا مضى محمد فابنه جعفر، فاذا مضى جعفر فابنه موسى، فاذا مضى موسى فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه محمد، فاذا مضى محمد فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه الحسن، فاذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي. فهؤلاء اثنا عشر"[٤٦].

٩ــ المهدي ابن الحسن العسكري:

كقول النبي(ص) وهو يحدث جابر بن عبدالله الأنصاري عن الأئمة من بعده ذاكرا أسماءهم واحدا بعد واحد، الى أن قال:

---

(٤٥) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٤٦) المصدر نفسه: ٤٤١.

"فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة، فيغيب ثم يخرج، فاذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً"[٤٧].

★ ★ ★

أما ما ورد في بعض المصادر في خلال حديث أُسند الى النبي(ص) انه ذكر المهدي وقال: "من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي"[٤٨] فالظاهر أن جملة "واسم أبيه اسم أبي" من الزيادات التي لم تكن في الأصل من جملة الحديث.

وقد روي هذا النص المشتمل على الزيادة عن عاصم بن أبي النجود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن النبي(ص)، ولكن أغلب الحفاظ وأكثر المحدثين قد رووه بلا زيادة "واسم أبيه اسم أبي" ومنهم الترمذي في سننه وقال: "وفي الباب عن علي وابي سعيد وام سلمة وابي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح"[٤٩]، وكذلك رواه الامام أحمد في مسنده في عدة مواضع والطبراني بطرق متعددة من غير هذه الزيادة

---

[٤٧] اسعاف الراغبين: ١٣٩ــ١٤٠ وينابيع المودة: ٤٤٣.

[٤٨] الحاوي: ١٢٥/٢.

[٤٩] سنن الترمذي: ٥٠٥/٤.

وجمع الحافظ الكنجي الشافعي طرق هذا الحديث وأوصلها الى أكثر من ثلاثين راوياً عن عاصم، ونقل ماجمعه الحافظ أبو نعيم من تلك الطرق المنتهية الى عاصم[٥٠]، ولم يرد في طريق منها لفظ "واسم أبيه اسم أبي"، مما يستفاد منه انها زيادة من أحد الرواة عن عاصم، ولذلك قال الحافظ الكنجي: "ولايرتاب اللبيب ان هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها"[٥١].

وأما ما ورد في بعض الكتب من حديث "المهدي من ولد العباس" أو "يخرج من ولد العباس" فهو مردود فاقد الحجية، لأن سنده المتصل بكعب الأحبار منقطع بما جاء فيه "عن شيخ" ولم يسمّه، وكذلك السند الذي فيه محمد بن الوليد، ونقل السيوطي عن الدارقطني قوله فيه: "هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد"[٥٢]، وقال الشيخ محمد الصبان: "وخبر ابن عدي: المهدي من ولد العباس عمي؛ في اسناده وضّاع"[٥٣].

---

[٥٠] البيان: ٦٠ــ٦٢.

[٥١] المصدر نفسه: ٦٢.

[٥٢] الحاوي: ١٦٥/٢.

[٥٣] اسعاف الراغبين: ١٣٧

وكذلك القول في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة في سننه قال: "حدثنا يونس بن عبدالأعلى، حدثنا محمد بن ادريس الشافعي، حدثني محمد بن خالد الجَنَدي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: ان رسول الله(ص) قال: لايزداد الأمر الا شدَّة؛ ولا الدنيا الا إدباراً؛ ولا الناس الا شحاً، ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس، ولا مهدي الا عيسى بن مريم"[٥٤]، فقد ورد هذا الحديث من غير طريق محمد بن خالد الجندي مجرداً من زيادة (ولا مهدي الا عيسى بن مريم)، وأورده ابن حجر الهيتمي متردداً فيه وقال: "على تقدير ثبوته"، وروى عن الحاكم قوله فيه: "أوردته تعجباً لامحتجاً به"، ثم روى عن البيهقي قوله فيه: "تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم: انه مجهول، واختلف عنه في اسناده، وصرح النسائي بأنه منكر"[٥٥]، وقال ابن تيمية: "هذا الحديث ضعيف وليس مما يعتمد عليه" [ط]، وروى الحافظ الكنجي عن الشافعي المطلبي قوله في محمد بن خالد الجندي: "كان فيه تساهل في الحديث"، ثم قال الكنجي:

---

[٥٤] سنن ابن ماجة:

[٥٥] الصواعق المحرقة: ٩٨.

(ط) منهاج السنة: ٤/٢١١.

"اتفقوا على أن الحديث لايُقبَل اذا كان الراوي معروفاً بالتساهل في روايته"[٥٦]. وقال السيوطي معلقاً على هذا الحديث بعد ايراده: "قال القرطبي في التذكرة: اسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي(ص) في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه"[٥٧].

★ ★ ★

وهكذا نجد في استعراض هذه الأحاديث ــ بعدالجمع بين متفرقها والملاءمة في مضامينها ــ انها تحصر مهدي هذه الأمة حصراً بابن الحسن العسكري دون غيره من مدعي المهديَّة، وهذه هي النتيجة القطعية الثابتة التي لايرقى اليها شك ولايصح فيها تردد، وكما قال الحافظ الكنجي الشافعي: فان "انضمام هذه الأسانيد بعضها الى بعض وايداع الحفّاظ ذلك في كتبهم يوجب القطع بصحته"[٥٨].

ولم يبق ما يمكن أن يقال ــ تشكيكاً أو تعقيباً على مدلول هذه الأحاديث الصريحة الثابتة ــ الا ما طرح عدد من الباحثين القدامى من تساؤلات قد تدور في ذهن بعض المعترضين؛ وما

---

[٥٦] البيان: ٨٧.

[٥٧] الحاوي: ٢/١٦٥.

[٥٨] البيان: ٦٥.

أجاب به اولئك الباحثون على هذه الاعتراضات بالتفصيل، وكان أوسعها شرحاً وبياناً ما أورده محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، فقال فيما نقتطف من مجموع كلامه:

"فإن قال معترض: هذه الأحاديث النبوية الكثيرة بتعدادها؛ المصرّحة بجملتها وافرادها؛ متفق على صحة اسنادها، ومجمع على نقلها عن رسول الله(ص) وايرادها، وهي صحيحة صريحة في اثبات كون المهدي من ولد فاطمة(ع)؛ وانه من رسول الله(ص)؛ وانه من عترته؛ وانه من أهل بيته؛ وان اسمه يواطئ اسمه؛ وانه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ وانه من ولد عبدالمطلب؛ وانه من سادات الجنة. وذلك مما لانزاع فيه، غير أن ذلك لايدل على أن المهدي الموصوف بما ذكره(ص) من الصفات والعلامات هو هذا ابو القاسم محمد بن الحسن الحجة الخلف الصالح، فان ولد فاطمة كثيرون، وكل من يولد من ذريتها الى يوم القيامة يصدق عليه انه من ولد فاطمة وانه من العترة الطاهرة وانه من أهل البيت، فيحتاجون مع هذه الأحاديث المذكورة الى زيادة دليل على أن المهدي المراد هو الحجة المذكور، ليتم مرامكم".

"فجوابه: ان رسول الله(ص) لما وصف المهدي(ع) بصفات متعددة من ذكر اسمه ونسبه ومرجعه الى فاطمة(ع) والى

عبدالمطلب وأنه أجلى الجبهة أقنى الأنف، وعدّد الأوصاف الكثيرة التي جمعَتْها الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً، وجعلها علامة ودلالة على أن الشخص الذي يسمى بالمهدي وتثبت له الأحكام المذكورة هو الشخص الذي اجتمعت تلك الصفات فيه، ثم وجدنا تلك الصفات المجعولة علامة ودلالةً مجتمعة في أبي القاسم محمد الخلف الصالح دون غيره، فيلزم القول بثبوت تلك الأحكام له وانه صاحبها. والاّ فلو جاز وجود ماهو علامة ودليل ولايثبت ماهو مدلوله قدح ذلك في نصبها علامة ودلالة من رسول الله(ص) على ذلك".

"فإن قال المعترض: لايتم العمل به بالعلامة والدلالة الا بعد العلم باختصاص مَنْ وُجدتْ فيه بها دون غيره وتعيُّنه لها، فأما اذا لم يُعْلَم تخصيصه وانفراده بها فلا يُحْكَم له بالدلالة. ونحن نسلّم انه من زمن رسول الله(ص) الى ولادة الخلف الصالح الحجة محمد(ع) ما وُجد من ولد فاطمة(ع) شخص جمع تلك الصفات التي هي العلامة والدلالة غيره، لكن وقت بعثة المهدي وظهوره وولايته هو في آخر أوقات الدنيا عند ظهور الدجال ونزول عيسى بن مريم(ع)، وذلك سيأتي بعد مدة مديدة، ومن الآن إلى ذلك الوقت المتراخي الممتد أزمان متجددة، وفي العترة الطاهرة من سلالة فاطمة(ع) كثرة يتعاقبون ويتوالدون الى تلك الأيام،

فيجوز أن يولد من السلالة الطاهرة والعترة النبوية مَنْ يجمع تلك الصفات فيكون هو المهدي المشار اليه في الأحاديث المذكورة، ومع هذا الاحتمال والإمكان كيف يبقى دليلكم مختصاً بالحجة محمد المذكور".

"فالجواب: انكم اذا عرفتم انه الى وقت ولادة الخلف الصالح والى زماننا هذا لم يوجَد مَنْ جمع تلك الصفات والعلامات بأسرها سواه، فيكفي ذلك في ثبوت تلك الأحكام له، عملاً بالدلالة الموجودة في حقه. وما ذكرتموه من احتمال أن يتجدد مستقبلاً في العترة الطاهرة من يكون بتلك الصفات لايكون قادحاً في إعمال الدلالة؛ ولامانعاً من ترتيب حكمها عليها، فان دلالة الدليل راجحة لظهورها، واحتمال تجدد ما يعارضها مرجوح، ولايجوز ترك الراجح بالمرجوح، فانه لو جوّزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلة المثبتة للأحكام الشرعية، إذ ما من دليل الا واحتمال تجدُّد مايعارضه متطرق اليه، ولم يمنع ذلك من العمل به وفاقاً. ويؤكده ان رسول الله(ص) ــ فيما أورده الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه (١٨٩/٧) يرفعه بسنده ــ قال لعمر بن الخطاب: (يأتي عليك مع أمداد أهل اليمن أُوَيْس بن عامر ــ من مراد ثم من قَرَن ــ، كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن

استطعتَ أن يستغفر لك فافعل)، فالنبي(ص) ذكر اسمه ونسبه وصفته وجعل ذلك علامة ودلالة على أن المسمى بذلك الاسم المتصف بتلك الصفات لو أقسم على الله لأبرّه وانه أهل لطلب الاستغفار منه، وهذه منزلة عالية ومقام عندالله عظيم، فلم يزل عمر بعد وفاة رسول الله(ص) وبعد وفاة أبي بكر يسأل امداد اليمن مَن الموصوف بذلك، حتى قدم وفد من اليمن فسألهم، فأخْبر بشخص متصف بذلك، فلم يتوقف عمر في العمل بتلك العلامة والدلالة التي ذكرها رسول الله(ص)، بل بادر الى العمل بها، واجتمع به وسأله الاستغفار، وجزم انه المشار اليه في الحديث النبوي، لما علم تلك الصفات فيه، مع احتمال أن يتجدد في وفود اليمن مستقبلاً مَنْ يكون بتلك الصفات، فان قبيلة مراد كبيرة، والتوالد فيها كثير، وعين ما ذكرتموه من الاحتمال موجود. وكذلك قضية الخوارج لما وصفهم رسول الله(ص) بصفات ورتّب عليها حكمهم، ثم بعد ذلك لما وجدها علي(ع) موجودة في اولئك في واقعة حروراء والنهروان جزم بأنهم هم المرادون بالحديث النبوي، وقاتلهم وقتلهم، فعمل بالدلالة عند وجود الصفة مع احتمال أن يكون المرادون غيرهم. وأمثال هذه الدلالة والعمل بها مع قيام الاحتمال كثيرة، فعلم ان الدلالة الراجحة لاتُتْرَك لاحتمال المرجوح".

"ونزيده بياناً وتقريراً فنقول: لزومُ ثبوت الحكم عند وجود العلامة والدلالة لـمَنْ وُجدتْ فيه أمرٌ يتعين العمل فيه والمصير اليه، فمن تركه وقال: بأن صاحب الصفات المراد باثبات الحكم له ليس هو هذا بل شخص غيره سيأتي؛ فقد عدل عن النهج القويم ووقف نفسه موقف المليم".

"ويدل على ذلك ان الله عزوجل لما أنزل في التوراة على موسى أنه يبعث النبي العربي في آخر الزمان خاتم الأنبياء؛ ونعته بأوصافه؛ وجعلها علامة ودلالة على اثبات حكم النبوة له؛ وصار قوم موسى(ع) يذكرونه بصفاته ويعلمون أنه يُبْعَث، فلما قرب زمانُ ظهورِه وبعثِه صاروا يهددون المشركين به، ويقولون: سيظهر نبيٌّ نَعْتُه كذا وصفته كذا ونستعين به على قتالكم، فلما بُعِث(ص) وجدوا العلامات والصفات بأسرها التي جُعِلتْ دلالةً على نبوته أنكروه وقالوا: ليس هذا هو بل هو غيره وسيأتي، فلما جنحوا الى الاحتمال؛ وأعرضوا عن العمل بالدلالة الموجودة في الحال، أنكر الله تعالى عليهم كونهم تركوا العمل بالدلالة التي ذكرها لهم في التوراة وجنحوا الى الاحتمال".

"وهذه القصة من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على أنه يتعين العمل بالدلالة عند وجودها واثبات الحكم لمن وجدت تلك الأدلة فيه. فاذا كانت الصفات التي هي علامة ودلالة لثبوت

تلك الأحكام المذكورة موجودة في الحجة الخلف الصالح محمد(ع) تعيَّن اثبات كونه المهدي المشار اليه؛ من غير جنوح الى الاحتمال بتجدد غيره في الاستقبال"[٥٩].

★ ★ ★

ونورد فيما يأتي في ختام الكلام عن الأحاديث النبوية المبشرة بمحمد بن الحسن المهدي(ع)، هاتين الجريدتين الدالتين ــ أوضح الدلالة ــ على صحة أسانيد تلك الأحاديث وكثرة رواتها وتواتر معناها وجلاء المراد منها لمن طلب لباب الحقيقة وألقى السمع وهو شهيد.

الجريدة الأولى: في ذكر بعض الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي(ع):

وهم فيما وقفتُ عليه من رواياتهم:

١ــ معاذ بن جبل (ت ١٨هـ).
٢ــ قتادة بن النعمان (ت ٢٣هـ).
٣ــ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ).
٤ــ أبو ذر الغفاري (ت ٣٢هـ).
٥ــ عبدالرحمن بن عوف (ت ٣٢هـ).

---

[٥٩] مطالب السؤول: ٢/٨١ــ٨٥.

٦ــ عبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ).
٧ــ العباس بن عبدالمطلب (ت ٣٢هـ).
٨ــ كعب الأحبار (ت ٣٢هـ).
٩ــ عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ).
١٠ــ سلمان الفارسي (ت ٣٦هـ).
١١ــ طلحة بن عبيدالله (ت ٣٦هـ).
١٢ــ عمار بن ياسر (ت ٣٧هـ).
١٣ــ علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ).
١٤ــ تميم الداري (ت ٤٠هـ).
١٥ــ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ).
١٦ــ حفصة بنت عمر بن الخطاب (ت ٤٥هـ).
١٧ــ الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٥٠هـ).
١٨ــ عبدالرحمن بن سمرة (ت ٥٠هـ).
١٩ــ مجمع بن جارية (ت نحو ٥٠هـ).
٢٠ــ عمران بن حصين (ت ٥٢هـ).
٢١ــ أبو أيوب الأنصاري (ت ٥٢هـ).
٢٢ــ عائشة بنت أبي بكر (ت ٥٨هـ).
٢٣ــ أبو هريرة (ت ٥٩هـ).
٢٤ــ الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٦١هـ).

٢٥ــ أم سلمة (ت ٦٢هـ).
٢٦ــ عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت ٦٥هـ).
٢٧ــ عبدالله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ).
٢٨ــ عبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ).
٢٩ــ زيد بن أرقم (ت ٦٨هـ).
٣٠ــ عوف بن مالك (ت ٧٣هـ).
٣١ــ أبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ).
٣٢ــ جابر بن سمرة (ت ٧٤هـ).
٣٣ــ جابر بن عبدالله الأنصاري (ت ٧٨هـ).
٣٤ــ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ت ٨٠هـ).
٣٥ــ أبو أمامة الباهلي (ت ٨١هـ).
٣٦ــ بشر بن المنذر بن الجارود (ت ٨٣هـ).
٣٧ــ عبدالله بن الحارث بن حمزة الزبيدي (ت ٨٦هـ).
٣٨ــ سهل بن سعد الساعدي (ت ٩١هـ).
٣٩ــ أنس بن مالك (ت ٩٣هـ).
٤٠ــ أبو الطفيل (ت ١٠٠هـ).
٤١ــ شهر بن حوشب (ت ١٠٠هـ).

الجريدة الثانية: في ذكر المحدِّثين الذين نصـــوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرَّحوا بصحتها من غير الشيعة الإمامية:

١ــ الترمذي (ت ٢٩٧هـ).
٢ــ العقيلي (ت ٣٢٢هـ).
٣ــ البربهاري (ت ٣٢٩هـ).
٤ــ محمد بن الحسين الآبري (ت ٣٦٣هـ).
٥ــ الحاكم (ت ٤٠٥هـ).
٦ــ البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
٧ــ البغوي (ت ٥١٠ هـ أو ٥١٦).
٨ــ ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).
٩ــ القرطبي المالكي (ت ٦٧١هـ).
١٠ــ ابن منظور (ت ٧١١هـ).
١١ــ ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٢ــ المزي (ت ٧٤٢هـ).
١٣ــ الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
١٤ــ ابن القيم (ت ٧٥١هـ).
١٥ــ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ).

١٦ــ التفتازاني (ت ٧٩٣هـ).
١٧ــ نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ).
١٨ــ الجزري الشافعي (ت ٨٣٣هـ).
١٩ــ أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ).
٢٠ــ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
٢١ــ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ).
٢٢ــ السيوطي (ت ٩١١هـ).
٢٣ــ الشعراني (ت ٩٧٣هـ).
٢٤ــ ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).
٢٥ــ المتّقي الهندي (ت ٩٧٥هـ).
٢٦ــ الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ).
٢٧ــ البرزنجي (ت ١١٠٣هـ).
٢٨ــ الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢هـ).
٢٩ــ الشيخ محمد بن قاسم بن محمد جسوس المـــالكي (ت ١١٨٢هـ).
٣٠ــ أبو العلاء العراقي (ت ١١٨٣هـ).
٣١ــ السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ).
٣٢ــ الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ).
٣٣ــ الشيخ الصبّان (ت ١٢٠٦هـ).

٣٤ــ السويدي (ت ١٢٤٦هـ).

٣٥ــ الشوكاني الزيدي (ت ١٢٥٠هـ).

٣٦ــ الشبلنجي (ت ١٢٩١هـ).

٣٧ــ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية (ت ١٣٠٤هـ).

وعدد غير قليل من أعلام القرن الرابع عشر الهجري (*).

★ ★ ★

ومما ينبغي أن يضاف الى هذه الجريدة المعنية بسرد أسماء المحدثين الرواة لأحاديث المهدي(ع) ذكر اولئك الباحثين الذين ألّفوا الكتب والرسائل في هذا الموضوع من غير الشيعة الامامية، ويحضرني منهم على سبيل المثال لا الحصر:

عباد بن يعقوب الرواجني المتوفى سنة ٢٥٠هـ، له كتاب "أخبارالمهدي".

(*) يراجع في تفاصيل نصوص هؤلاء المحدثين وأسماء من لم نذكر منهم ــ وهم غير قليل ــ ، بحث السيد ثامر العميدي المنشور في مجلة (تراثنا) البيروتية، العدد ٤٣ــ٤٤، السنة ١١، ص١٧ــ٢٦، ١٤١٦هـ ومجلة الجامعة الاسلامية الصادرة في المدينة المنورة، العدد الثالث/ السنة الاولى.

أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، له كتاب "أربعين حديثاً في أمرالمهدي" وكتاب "مناقب المهدي" وكتاب "نعت المهدي".

محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، له كتاب "البيان في أخبار صاحب الزمان" وهو مطبوع.

يوسف بن يحيى السلمي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥هـ، له كتاب "عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر" وهو مطبوع.

ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، له كتاب "المهدي".

ابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢هـ، له كتاب "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر".

جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، له كتاب "العرف الوردي في أخبارالمهدي"، وهو مطبوع، وكتاب "علامات المهدي".

ابن كمال باشا الحنفي المتوفى سنة ٩٤٠هـ، له كتاب "تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان".

محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ، له كتاب "المُهْدي الى ما ورد في المهدي".

علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ، له كتاب "البرهان في علامات مهدي آخر الزمان" وكتاب "تلخيص البيان في أخبار مهدي آخر الزمان".

علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ، له كتاب "الردُّ على مَنْ حكم وقضى ان المهدي جاء ومضى" وكتاب "المشرب الوردي في أخبار المهدي".

مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، له كتاب "فرائد فوائد الفكر في الامام المهدي المنتظر".

القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، له كتاب "التوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح".

رشيد الراشد التاذفي الحلبي المعاصر، له كتاب "تنوير الرجال في ظهور المهدي والدجال"، وهو مطبوع.

★ ★ ★

كذلك ينبغي أن يضاف الى جميع ماتقدم: أسماء اولئك الشعراء الذين تضمنت قصائدهم ذكر انتظار المهدي(ع) والتطلع اليه والترقب ليومه والاقرار بحتمية ذلك وثبوته، ومنهم على سبيل الاستشهاد لا الاستيعاب:

الكميت بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦هـ، وفي ذلك يقول:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديُكم الثاني[٦٠]

اسماعيل بن محمد الحميري المتوفى سنة ١٧٣هـ، وفي ذلك يقول:

بأن ولي الأمر والقائم الذي تطلّع نفسي نحوه بتطرُّب

له غيبة لابد من أن يغيبها فصلى عليه الله من متغيّب

فيمكث حيناً ثم يظهر حينه فيملأعدلاً كلّ شرق ومغرب[٦١]

دعبل الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦هـ، في ذلك يقول:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

---

[٦٠] الغدير: ٢/١٨٤ـ ط النجف ١٣٦٥هـ ـ.

[٦١] الغدير: ٢/٢٢٣.

يميّز فينا كـــل حـــق وبـــاطل ويجزي على النعماء والنقمات[٦٢]

مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨هـ، وفي ذلك يقول:

عسى الدهر يشفي غدامن عمائك قلـب مغيـظ بهـم مكمـد

عسى سطوة الحق تعلو الخـال عسى يغلب النقـص بالسـؤدد

بسـمعي لقـائمكم دعـوةٌ يلبّي لهـا كـلُّ مستجد[٦٣]

ابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، وفي ذلك يقول في مداعبة له على سبيل الإنكار:

واليـتُ آلَ امية الـسطْ سطُهرَ اليامين الغُـرّدْ

وأكـذّب الـراوي وأطْ ـعَنُ في ظـهور المنتظر[٦٤]

محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢هـ، وفي ذلك يقول:

وقد قـال رسـولُ اللـ ـهِ قـولاً قـد رويناهُ

الى أن قال:

---

[٦٢] ديوان دعبل: ٤٢.

[٦٣] ديوان مهيار: ١/٣٠٠.

[٦٤] الغدير: ٤/٢٧٩.

وقـد أبـداه بالنسـبـ ـةِ والوصـف وسمّـاهُ

ويكفـي قولـه : (منّـي) لاشـراق محيّـاهُ

ومـن بضعتـه الزهـرا ء مرسـاه ومسـراهُ

فمن قـالوا هـو المـهديّ يُ ما مـانوا بمـا فـاهوا[٦٥]

ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وفي ذلك يقول:

ولقد علمتُ بأنه لابـدَّ مـن مـهديكم وليومـه أتوقّـعُ

يحميه من جند الاله كتـائب كاليم أقبـل زاخـراً يتدفـعُ

فيها لآل أبي الحديد صـوارمٌ مشهورة ورماح خطٌ شرَّعُ[٦٦]

شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ، وفي ذلك يقول في ارجوزته التي يعدّد فيها أسماء الأئمة الاثني عشر:

والعسكريُّ الحسن المطـهَّرْ محمدُ المهديُّ سوف يظـهر[٦٧]

---

[٦٥] مطالب السؤول: ٢/٧٩.

[٦٦] شرح القصائد السبع العلويات: ٧٠.

[٦٧] الأئمة الاثنا عشر: ١١٨.

عبدالله بن علوي الحداد التريمي الشـــافعي المتـــوفى ســـنة ١١٣٢هـــ، وفي ذلك يقول:

محمدٌ المـــهديُ خليفـــة ربِّنـــا إمام الهدى بالقسط قامت ممالكُهْ

كأني به بين المقـــام وركنـــها يبايعه من كل حـــزبٍ مباركُـــهْ

ويقول في أخرى:

ومنّا إمام حان حينُ خروجِـــهِ يقـــوم بـــأمر الله خـــير قيـــامِ

فيملأها بالحقِ والعدل والهـــدى كما مُلئتْ جوراً بظلم طغـامِ[٦٨]

[٦٨] ديوان عبدالله بن علوي المسمى (الدر المنظوم): ١٨ و١٤٦.

غيبـــة الإمـام المهـديّ (ع)

بيـــن

المُثْبِـتين والمُنْكِرين

كانت خلاصة الفصلين المتقدمين ــ كما قضت النصوص المتواترة ودلّت الروايات المتظافرة ــ أن مسألة "المهدية" في جذر فكرتها وأساس منطلقها عقيدة نابعة من صميم التشريع الاسلامي، وقد بشّر بها الرسول الأعظم (ص) فيما أُثِر عنه منقولاً على لسان رجال الحديث طبقة بعد طبقة على مرّ الأجيال. كما ثبت أيضاً بما يأبى الشك والتردد أن المهدي الذي وردت فيه تلك الأحاديث هو محمد بن الحسن العسكري بالذات والتعيين، وأنه ولد بسرّ من رأى، وتداول خبر ولادته يومها جميع الخاصة من أصحاب أبيه ثم اشتهر بعد ذلك في مصادر التاريخ.

ولابدّ لنا هنا ــ وبعد الاقرار بمجموع ما سلف بيانه ــ أن نتوقف قليلا مدققين وممعنين فيما يترتب على اليقين بولادة محمد ابن الحسن وثبوت كونه المهدي المنتظر، وأن نتدرج في البحث في ضوء التساؤلات المتسلسلة الآتية:

١ــ هل غاب المهدي؟.

٢ــ وما هو المراد بهذه الغيبة؟.

٣ــ وعلى فرض صحة هذه الغيبة هل يمكن أن يبقى الانسان حيّاً طيلة هذه القرون؟.

ويجدر بنا ــ وقد بلغنا هذه المرحلة الرئيسة والحساسة من البحث ــ أن نطرح التمهيد الآتي قبل الدخول في صلب الموضوع، ليكون عوناً لنا على استخلاص النتائج السليمة المقنعة ودحض الشبهات السطحية الطارئة:

من المعلوم المسلّم لدى الجميع ان الاسلام قد جعل العقل أساس العقيدة ومرتكز الايمان؛ ونهى عن التقليد الأعمى والتبعية العشواء، وفرض ضرورة استناد اصول الاعتقاد في مجملها الى العقل معتمدة عليه ومستمدة قوتها وصلابتها منه وحده، دونما مشاركة شيء آخر من هوى النفس واندفاع العاطفة واتباع الآخرين بلاحجة.

وهكذا كان العقل هو القائد الى الايمان بالله تعالى وهو المرشد نحو الاعتقاد الثابت بوجوده ووحدانيته، ثم كان العقل ــ أيضاً ــ هو الدليل على ضرورة النبوة والامامة والمعاد تفريعاً على الايمان بالله عز وجل. أما المفردات الأخرى من أحكام الشرع ومسائل الدين فليست بحاجة الى دليل عقلي خاص بكل مفردة منها على حدة، وليس لزاماً أن يقام عليها مثل هذا الدليل بعد أن كان الأساس قائماً عليه، بل يكفي في وجوب الاقرار بها

مجرد ورود النص عليها بالطرق الشرعية المقررة للتعبد بالنصوص. ومن هنا آمن المسلمون ــ بصدق ويقين ــ بمسألة وجود الملائكة مثلاً أو تكلُّم عيسى(ع) في المهد أو تسبيح الحصى بيد النبي(ص) لورود النص على ذلك إما في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة المتواترة.

واننا عندما نبحث موضوع المهدي وغيبته انما نبحثه مع المسلمين المعترفين بأصول الاسلام وأسس التشريع، دون غيرهم من منكري وجود الله تعالى أو غير المقرين بالاسلام، وذلك لأن المسألة معتمدة في جوهرها على الاستدلال بالقرآن المجيد والسنة الشريفة؛ فلا يصح الكلام فيها مع من لا يؤمن بالكتاب والسنة.

وبتعبير آخر: إننا نبحث هذا الموضوع على أساس الاعتقاد الديني المستند الى الأدلة الشرعية التي أجمع المسلمون على وجوب العمل بها، ولا ندّعي أنه من قبيل العملية الرياضية البديهية كحاصل ضرب ٢×٢؛ أو من قبيل القواعد الفلسفية التي لا مجال فيها للأخذ والرد كبطلان الدور والتسلسل.

واذن ينبغي أن يكون القارئ الكريم على علم بأننا سنبحث هذه المسألة بكل جوانبها في ضوء الكتاب والسنة، لأنهما مصدر التشريع وباب المعرفة عند المسلمين، وان انكارهما

والخروج عليهما انكار للاسلام وخروج على أحكامه وتكاليفه[1].

واذا اتضح هذا التمهيد ــ وهو واضح جداً ــ صحّ منّا تفريعاً عليه أن نقول:

ان النصوص النبوية الشريفة التي رواها حفاظ الحديث ــ ومنهم من اتفق المسلمون على صحة ما حدّثوا به في ذلك ــ تُكرِّر ذكر كلمة "الغيبة" كثيراً[2]، وفي بعضها: "تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الامم"[3]، وفي اخرى: "يغيب عن أوليائه غيبة، لايثبت على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان"[4]، وفي حديث ابن عباس: "يبعث المهدي بعد اياس وحتى يقول الناس: لا مهدي"[5]، وفي حديثه الآخر ــ وهو طويل جاء فيه ــ نقلاً

---

[1] من الغريب جداً في هذا المقام ما يرويه الدكتور احمد امين في كتابه المهدي والمهدوية: ١٠٨ من "ان مذهب ابن خلدون قبول الخبر الواحد اذا ايده حكم العقل ورفض الأحاديث الكثيرة اذا لم يؤيدها العقل"، وانه انما أنكر المهدي والمهدوية لأن الأحاديث المعنية بذلك مخالفة لحكم عقله!!!.

[2] يراجع في هذه النصوص كتاب البيان للحافظ الكنجي الشافعي: ١٠٢ــ١١٣.

[3] ينابيع المودة: ٤٨٨.

[4] المصدر نفسه: ٤٩٥.

[5] الحاوي: ٢/١٥٢.

عن رسول الله (ص): "والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ان الثابتين على القول بامامته في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر. فقام اليه جابر بن عبد الله فقال: يارسول الله؛ وللقائم من ولدك غيبة؟، قال: اي وربي، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ثم قال: ياجابر، ان هذا أمر من أمر الله وسرٌّ من سرّ الله، فاياك والشك فان الشك في أمر الله عز وجل كفر"[6].

ان كلمة "الغيبة" كما وردت في الأحاديث المارة الذكر وكما يقتضيها سياق الكلام لاتعني إحياء المهدي بعد موته وإعادته الى الدنيا بعد وفاته، وانما هي ناظرة الى اختفائه واحتجابه عن الناس وعدم رؤيتهم اياه ومشاهد لهم له، وهذا هو المتبادر الى الأذهان عند قراءة تلك الروايات والوقوف على كلمة (الغيبة) المتكررة فيها.

ومما يزيد هذا المعنى تأكيداً ما ورد في الحديث النبوي الذي اتفق المسلمون على روايته عن الرسول الأعظم (ص): "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية" أو "من مات بغير إمام

---

[6] ينابيع المودة: ٤٤٨.

مات ميتة جاهلية"[٧٩]. إذ هو صريح في ضرورة وجود امام حي في كل عصر وحين بما يشمل حالتي الغيبة والحضور.

وعندما تثبت ولادة محمد بن الحسن ثبوتا قطعياً لاريب فيه تكون كلمة "غيبته" الواردة في النصوص النبوية وضرورة وجود الامام في كل زمان دليلين جليين على استمرار حياة هذا الرجل طيلة تلك القرون، وعلى رفض جميع ما يقال في هذا الصدد من تردد واستبعاد.

والقول بوفاة المهدي بعد ثبوت ولادته ــ مع كونه مخالفاً لأحاديث الغيبة وحديث استمرار الامامة ــ لم يشتهر في مصادر التاريخ ولم يعرف خبره على ألسن المؤلفين. متى مات ... وفي أي يوم وشهر وسنة ... ومتى شُيّع ومَنْ حضر تشييعه... وأين دُفن وفي أي بلد ... ولماذا لم تعلن الجهات الحاكمة تلك الوفاة لتتخلص من تمسُّك شيعته بالايمان بوجوده؟!.

ان هذا كله يؤكد ان المهدي حي لم يمت، وانه اختفى عن أعين أعدائه حفاظاً على حياته ونجاة بنفسه.

وكان اختفاؤه هذا على مرحلتين:

---

[٧٩] يراجع في هذا الحديث: صحيح مسلم: ٢٢/٦ ومسند أحمد: ٤٤٦/٣ و ٩٦/٤ والكافي: ٣٧٦/١ والمعجم الكبير: ٣٨٨/١٩ ومجمع الزوائد: ٢١٨/٥ و٢٢٤و٢٢٥.

الاولى ــ: اختفاؤه عن أعين عامة الناس حينما هجم جيش الخليفة على دار الامام العسكري (ع) اثر وفاته. وكان يتصل خلال هذا الاختفاء المسمى في المصادر بـ "الغيبة الصغرى" أو "القُصْرى" بالثقات المخصوصين من وكلائه وسفرائه وأصحابه، ويتسلم منهم رسائل شيعته وأسئلتهم، ويمدهم بالأجوبة والردود عليها لايصالها للسائلين والمستفهمين[٨٠].

ونورد فيما يأتي من أمثلة تلك الأجوبة والردود ما أجاب به ــ عليه السلام ــ محمد بن علي بن هلال الكرخي على كتابه

---

[٨٠] يراجع في مكاتبات الامام المهدي (ع) وتوقيعاته وأجوبته على مايرده من أسئلة شيعته في الفقه خاصة: كتب الحديث الأربعة المعروفة عند الشيعة الامامية، وفي مكاتباته وتوقيعاته الاخرى غير الفقهية الكتب الآتية:

الكافي: ٥١٩/١ و ٥٢٠ و ٥٢٢ و ٥٢٤.

الارشاد: ٣٧٨ ــ ٣٨٣.

اعلام الورى: ٢٦٢/٢ ــ ٢٧٥.

الاحتجاج: ٥٣٦/٢ ــ ٥٤٦ و٥٤٩ ــ ٥٥٠ و٥٥٨ ــ ٥٦٠ و٥٦٣ ــ ٥٩٠ و٥٩٧ ــ ٦٠٣.

الخرائج والجرائح: ١١١٣/٣ ــ ١١١٥.

كشف الغمة: ٢٤٩/٣ ــ ٢٥١ و٢٥٣ ــ ٢٥٤ و٣٣٩.

بحار الأنوار: ٣٠٣/٥١ و٣٠٦ و٣٠٨. و١٥٠/٥٣ ــ ١٩٧.

الذي ذكر فيه الغلاة وأقاويلهم الشاذة في اعتقادهم بالأئمة، وجاء في بعض ذلك الجواب مالفظه:

"يامحمد بن علي، تعالى الله عز وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، لسنا نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تبارك أسماؤه: {قل لا يعلم من في السماوات والارض الغيب الا الله}، وأنا وجميع آباتي من الأولين: آدم ونوح وابراهيم وموسى وغيرهم من النبيين؛ ومن الآخرين محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب وغيرهما ممن مضى من الأئمة الى مبلغ أيامي ومنتهى عصري؛ عبيد الله عز وجل...".

"يامحمد بن علي، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم .... فأُشهد الله الذي لا إله الا هو ــ وكفى به شهيداً ــ ورسوله محمداً (ص) وملائكته وأنبياءه وأولياءه؛ وأشهدك وأشهد كلّ من سمع كتابي هذا أني بريء الى الله والى رسوله ممن يقول إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يحلّنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّى بنا عما فسّرتُه لك وبيّنتُه في صدر كتابي...".

"وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه من أحدٍ من مواليّ وشيعتي، حتى

يظهر على هذا التوقيع الكلُّ، لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون الى دين الله الحق وينتهون عما لا يعلمون منتهى أمره"[٩].

ومن أمثلة ذلك أيضاً جوابه ــ عليه السلام ــ على رسالة اسحاق بن يعقوب علي يد الوكيل الثاني محمد بن عثمان العمري؛ وقد سأل فيها عدة مسائل ومنها ما يتعلق بجعفر بن الامام الهادي (ع) في ادعائه الامامة وانكاره وجود ابن أخيه، وكان مما جاء في هذا الجواب:

"أما ما سألتَ عنه ــ أرشدك الله وثبّتك ــ من أمر المنكرين من أهل بيتنا وبني عمنا؛ فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحدٍ قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل اخوة يوسف (ع)"[١٠].

---

[٩] الاحتجاج: ٢/٥٥٠ ــ ٥٥١.

[١٠] الاحتجاج: ٢/٥٥٣ ــ ٥٥٤ وبحار الانوار: ٥٠/٢٢٧، و٥٣/١٨٠.

الثانية ــ اختفاؤه الكامل عن كل الناس بحيث لا يتصل به أحدٌ مطلقا[11]، وهو الاختفاء المسمى بـ "الغيبة الكبرى" أو "الطُولى" في المصادر القديمة، ويقوم في آخرها بالسيف ليطهر الأرض من الجور والظلم، ويتحقق وعد الله تعالى بقوله في كتابه المجيد: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ وقوله عزوجل: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[12].

★ ★ ★

وكان الشيخ الطوسي قد توقف لأكثر من مرة في بحثه المعنيّ بالغيبة وشؤونها عند سبب الغيبة والاستتار وعلة ذلك فقال في بعض ما أفاد به:

"مما يُقطع على أنه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه من القتل بإخافة الظالمين إياه، ومنعهم إياه من التصرف فيما

---

[11] ينسب الدكتور احمد امين الى الشيعة اعتقادهم في المهدي "انه وهو في استتاره تحرك اتباعه ليزيلوا المظالم" وانه "يعيش في الخفاء ويوحي من وراء ستار بالأوامر والنواهي" المهدي والمهدوية: ١٠٩ و ١١٩.

اقول: كل كتب الشيعة تصرح بان المهدي غائب لا يتصل به احد. فأين الصدق في القول وأين الأمانة في النقل؟

[12] البيان: ١٠٩ والفصول المهمة: ٢٧٣.

جُعل اليه التدبير والتصرف فيه... واذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره، كما استتر النبي (ص) تارة في الشِّعب واخرى في الغار، ولاوجه لذلك الا الخوف من المضار الواصلة اليه".

"فأما التفرقة بطول الغيبة وقصرها فغير صحيحة، لأنه لا فرق في ذلك بين القصير المنقطع والطويل الممتد، لأنه اذا لم يكن في الاستتار لائمة على المستتر اذا أُحوِج اليه... جاز أن يتطول سبب الاستتار كما جاز أن تقصر أيامه".

"فإن قيل: اذا كان الخوف أحوجه الى الاستتار فقد كان آباؤه ــ عليهم السلام ــ عندكم على تقيّة وخوف من أعدائهم فكيف لم يستتروا؟. قلنا: ما كان على آبائه(ع) خوف من أعدائهم مع لزوم التقية والعدول عن التظاهر بالامامة... وامام الزمان(ع) كلُّ الخوف عليه لأنه يظهر بالسيف ويدعو الى نفسه ويجاهدُ مَن خالفه عليه... على أن آباءه(ع) متى قُتلوا أو ماتوا كان هناك من يقوم مقامهم ويسدُّ مسدّهم... وصاحب الأمر(ع) بالعكس من ذلك، لأن من المعلوم أنه لا يقوم أحد مقامه ولا يسد مسدّه، فبان الفرق بين الأمرين"[13].

---

[13] غيبة الطوسي: ٩٠ ــ ٩٣.

ثم كرر الطوسي بيان سبب الغيبة والامتناع من الظهور فقال شارحا وموضحا: "لا علة تمنع من ظهوره الا خوفه على نفسه من القتل. لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار".

"إن قيل: أليس آباؤه ــ عليهم السلام ــ كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل اليهم أحد؟. قلنا: آباؤه(ع) خالفهم بخلاف حاله. لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون انهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول ... وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم اذا أمنوهم على مملكتهم ولم يخافوا جانبهم ... وليس كذلك صاحب الزمان(ع)، لأن المعلوم منه انه يقوم بالسيف ويزيل الممالك ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل ويميت الجور. فمنّ هذه صفته يُخاف جانبه وتُتقى فورته، فيُتتبّع ويُرصد وتوضع العيون عليه... فيخاف حينئذ ويُحْوج الى التحرز والاستظهار بأن يخفي شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو".

"وأيضا: فآباؤه ــ عليهم السلام ــ انما ظهروا لأنه كان من المعلوم انه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ويسد مسدّه من أولادهم، وليس كذلك صاحب الزمان (ع) لأن المعلوم انه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه

بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته وفارق حاله حال آبائه عليهم السلام"[١٤٤].

★ ★ ★

وعندما نصل الى هذه المرحلة من البحث ــ بعد ثبوت ما تقدم بيانه من وجود المهدي واختفائه واستمرار حياته الى اليوم ــ يقفز الى الذهن سؤال رئيس وملحّ يدور حول إمكان بقاء الانسان على قيد الحياة طوال هذه السنين وهل يقر العقل البشري بذلك؟.

وقبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نذكّر القارئ بما سلف منا ذكره من أن حقائق الشرع اذا ثبتت بالنقل الصحيح فاننا ــ بحكم كوننا مسلمين ــ ملزمون بالتعبد بذلك وقبول ما ورد النص عليه ولو لم تمتد عقولنا لفهم فلسفته وإدراك سرّه، وليس يسوغ لنا انكار شيء من تكاليف الدين الأساسية بدعوى الجهل بوجه الحكمة والعلة فيه؛ وبحجة عدم فهم السر أو عدم الاقتناع بالأمر.

---

[١٤٤] غيبة الطوسي: ٣٢٩ ــ ٣٣١.

أما طول العمر وامتداد الحياة مئات من السنين فليس مستحيلاً كما يتصور بعض المتصورين، بل روى المؤرخون وقوع ذلك كثيراً في تاريخ البشرية الطويل.

فآدم (عليه السلام) مثلاً عمرَّ ألف سنة.

ولقمان صاحب النسور عمَّر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة.

وسلمان الفارسي عمَّر طويلاً في الأرض، وادعى بعض المؤرخين انه عاصر المسيح(ع) وأدرك الاسلام وتوفي في أيام الخليفة عمر بن الخطاب.

الى كثير وكثير ممن عمَّر مئات السنين وروى خبرهم المؤرخون وبخاصة السجستاني الذي جمع أخبارهم في كتاب سمّاه (المعمّرون)، وهو مطبوع معروف.

هذا من ناحية الإثبات التاريخي.

وأما القرآن الكريم ــ وهو أصدق الكلام وأقوى الحجج ــ فقد قال الله تعالى فيه وقوله الحق:

ان نوحاً النبي ــ عليه السلام ــ لبث في قومه يدعوهم الى الله (٩٥٠) عاماً، والله أعلم بما عاش قبل البعثة والدعوة؛ وبعد الطوفان.

وان يونس النبي ــ عليه السلام ــ بقي حياً في بطن الحوت مدة من الزمن، ولولا فضل الله عليه لبقي في بطنه الى يوم القيامة:

﴿فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون﴾، ومعنى هذا اللبث بقاؤه حياً الى يوم القيامة وبقاء الحوت حياً معه خلال هذه الآماد المتمادية.

وان أهل الكهف ﴿لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾، ولا نعلم كم عاشوا قبل دخولهم في الكهف وبعد خروجهم منه.

وان ﴿الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال: كم لبثت؟ قال: لبثتُ يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر الى حمارك﴾، ولعل بقاء الطعام والشراب مائة عام من دون أن يفسد أو يأسن أعجب من طول عمر الانسان وأغرب[١٥].

---

[١٥] ومع كل هذه النصوص القرآنية الصريحة فان الدكتور احمد أمين يرى أنه لا يمكن للانسان أن "يختفي ويبقى مختفياً مئات السنين من غير أن يجري الله عليه حكم الموت"، بل ان ذلك في رأيه "لا يجوز الا على السذّج الذين فقدوا عقولهم" الهدي والهدوية: ٩٦.

فهل يرى الدكتور في التصديق بعدم اجراء الموت على نوح ويونس والحوت وأهل الكهف مئات من السنين دليلاً على السذاجة وفقدان العقل؟.

هذا كله بالاضافة الى ما تناقله مؤلفو السِّير ورواه رجال الحديث وتلقوه بالاقرار والقبول من حياة العبد الصالح الخضر من قبل زمان النبي موسى (ع) والى آخر الزمان.

فهل نصدّق بكل ذلك الذي نطق به القرآن واستفاضت به السنة أم نكفر به؟، وهل يصح منّا إنكاره ورفضه بمجرد ادعاء ان العقل البشري بمستواه الحاضر لم يدرك بعدُ أسرار هذه الامور ولم يكشف خباياها المجهولة؟.

ان موضوع غيبة المهدي قائم على هذا الأساس بالضبط، ولا بدلنا من القول باستمرار حياته جريا مع تلك النصوص وتصديقا للنبي (ص) الذي ﴿ما ينطق عن الهوى، إن هو الا وحيٌ يوحى﴾ وتنفيذا لأمر الله تعالى في قوله: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه﴾، إذ يكون الايمان بذلك مساوقا للايمان بعمر نوح ولبث يونس في بطن الحوت وولادة عيسى من غير أب وبقاء الطعام والشراب مائة عام دون أن يصيبه التلف.

والى هذا المعنى يشير الحافظ الكنجي وهو يتحدث عن المهدي: "ولا امتناع في بقائه، بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من أولياء الله تعالى؛ وبقاء الدجال وابليس الملعونين من أعداء الله

تعالى. وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة وقد اتفقوا عليه، ثم أنكروا جواز بقاء المهدي"[١٦].

ويزيد الشيخ الطوسي الموضوع بيانا فيقول: "فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لابد منه... وهو تعالى قادر أن لا يفعل ما أجرى العادة بفعله... واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل"[١٧].

ويقول الوزير الاربلي في ذلك: "اذا ثبت ان الله سبحانه قد عمّر خلقا من البشر ما ذكرناه من الأعمار ــ وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء؛ وبعضهم غير حجة ــ ولم يكن ذلك محالا في قدرته؛ ولا منكرا في حكمته؛ ولا خارقا للعادة، بل مألوفا على الأعصار؛ معروفا عند جميع أهل الأديان. فما الذي ينكر من عمر صاحبَ الزمان أن يتطاول الى غاية عمر بعض مَنْ سمّيناه"[١٨].

ويقول محمد بن طلحة الشافعي: "مَنْ غاب وإن انقطع خبره لاتوجب غيبتُه وانقطاعُ خبره الحكم بمقدار عمره ولا

---

[١٦] البيان: ١٠٢.

[١٧] الغيبة: ١٢٦.

[١٨] كشف الغمة: ٣/٣٥٥.

بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة وألطافه بعباده عظيمة... وليس ببدع ولا مستغرب تعميرُ بعض عباد الله المخلصين؛ ولا امتداد عمره الى حين، فقد مدَّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه، من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه: فمن الأصفياء عيسى(ع)؛ ومنهم الخضر؛ وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم... ومن الأعداء المطرودين ابليس والدجال ومن غيرهم كعاد الاولى... وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه. فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح الى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به"[19].

★ ★ ★

واذا كان النص القرآني والحديث الشريف قد دلاّ على إمكان بقاء الانسان حيّا أكثر من ألف عام وعلى وقوع ذلك في الامم السابقة؛ فلا يصح عدُّه شيئاً فوق العلم وفوق العقل، بل ان العلم الحديث يصرّح بأن بامكان الانسان البقاء آلاف السنين لو تهيأ له من وسائل المحافظة على القوى البدنية ما يساعده على البقاء.

[19] مطالب السؤول: ٢/٨٦ ــ ٨٧.

و "ان العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: ان كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لانهاية له؛ وانه في الامكان أن يبقى الانسان حيا الوفا من السنين اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان. ان الانسان لا يموت لأنه عمّر كذا من السنين سبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر، بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلها، فاذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين"[20].

وان "جان روستان يعتقد بضوء الاكتشافات والتجارب العلمية ان اتباع طريقة حفظ الانسان لم يعد يبدو مستحيلاً، فان الاكتشافات التي سجلها عدد من مشاهير العلماء منذ حوالي قرن تترك بعض الأمل في امكانية التوصل الى مركب متناسق يساعد في تحقيق المزيد من التقدم، اعتماداً على تجارب علمية سجلها براون سيكوارد؛ والكسي كاريل؛ وفورنوف؛ وميتشبنكوف؛ وبوغو مولتيز؛ وفيلاتوف؛ وغيرهم. أما روبرت ايتنجر الذي وضع أخيراً كتاباً قيماً بعنوان (الانسان هل يمكن أن

[20] مجلة المقتطف المصرية/ الجزء الثالث/ السنة التاسعة والخمسون.

يخلد حياً) فقد خلق آمالاً جديدة إذ قال: ان الانسان الذي يعيش ويتنفس الآن يملك حظ البقاء من الناحية الفيزيائية"[٢١].

هذا كله مضافاً الى التصريحات الكثيرة بشأن امكان المحافظة على حياة الانسان الوف السنين لو جُمّد خلال هذه المدة، وذلك بسبب ان التجميد يحافظ على كل الخلايا الحية. ومتى ما أُريدت إعادة الحركة الى الانسان المجمّد أُعطي من الحرارة ما يستلزمه الجسم منها فيعود كما كان نابضا بالحركة والحيوية.

ومهما يكن من أمر، فان تصريحات العلماء المعاصرين تؤكد إمكان طول عمر الانسان، وان هذه الامكان هو الدافع الأكبر لهم على المثابرة في السعي لمعرفة الوسائل التي تحقق ذلك.

واذا صح إمكان عمر الانسان بحسب الاستعداد والطبيعة؛ كان ممكناً بل صحيحاً بالقطع واليقين طول عمر المهدي(ع) طيلة هذه القرون بحسب الطبيعة أولاً وبحسب ما يضاف اليها (ثانياً) من الارادة الالهية القائلة للشيء كن فيكون.

---

[٢١] جريدة الأنباء الجديدة البغدادية/ العدد ٤٠/ السنة الاولى/ ٢٧ آذار ١٩٦٥م.

وبعد:

فان البشرية التي تعيش اليوم أعقد ظروفها الفكرية والاجتماعية؛ وأخطر مراحلها الحضارية المجهولة العواقب؛ في أمسّ الحاجة الى هذا المصلح المنتظر الذي لا شك أنه سيطلع عليها قطعاً في يوم نرجو أن يكون قريباً، ليقود ركب الانسانية الى غايته المثلى ويحمله على انتهاج الصراط المستقيم.

وان العقل البشري ــ المسلم منه وغير المسلم ــ ليتطلع الى مثل هذا المنقذ المنتظر بمنتهى الشوق واللهفة، ويقر بحتميته وضرورته حتى لولم يكن هناك نصّ عليه أو إشارة اليه. ولذلك بشّر الفيلسوف البريطاني المشهور برناردشو بظهور هذا المنقذ بايحاء من فكره الذاتي، وكتب في ذلك كتاباً سماه (الانسان والسوبرمان)، ذهب فيه الى بيان حاجة البشرية لهذا الانسان المنتظر، ووصفه في تخيله الفلسفي بأنه "انسان حي ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، انسان أعلى يترقى اليه هذا الانسان الأدنى بعد جهد طويل". وانه "يطول عمره حتى يتيقف

على ثلاثمائة سنة، ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة".

ويقول عباس محمود العقاد معقباً على ذلك: "يلوح لنا أن سوبرمان (شو) ليس بالمستحيل؛ وان دعوته اليه لا تخلو من حقيقة ثابتة"[٢٢].

★ ★ ★

ولن نجد في نهاية هذا الحديث مسكاً لختامه خيراً من أن نردّد مخلصين؛ ونبتهل الى الله تعالى صادقين، فنكرر ما جاء في الدعاء المأثور قائلين:

(اللهم إنا نشكو اليك فقد نبينا، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلِّ على محمد وآله وأعنّا على ذلك بفتح منك تعجّله، وبضرٍّ تكشفه، ونصر تعزُّه، وسلطان حق تظهره).

اللهم انصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعلنا من أنصاره وأعوانه، انك سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[٢٢] برناردشو لعباس محمود العقاد/ سلسلة اقرأ المصرية/ العدد ٨٩/ ص١٢٤ــ١٢٥.

مُلْحَقا الكتاب

الملحق الأول .سرداب الغَيْبة

الملحق الثاني .وكلاء الإمام المهدي في غيبته الصغرى

الملحق الأول ــ سرداب الغيبة

سرداب الغيبة مكان معروف ومعلم بارز في العتبة المقدسة في سرمن رأى، ويقع في الجهة الغربية من قبري الامامين العسكريين (ع)، وقد استمد قدسيته وأهميته من علم الناس بكونه جزءاً من بيت الأئمة (ع) الذي عاشوا فيه أيام إقامتهم في سامراء وكان موضعاً لمبيتهم وعبادتهم في بعض الأحيان، ثم دفن الامامان الهادي والعسكري في طرف من ذلك البيت. فكان هذا الجزء من الأماكن المباركة التي يذكر فيها اسم الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار.

وقد حاول بعض المؤلفين أن يخلق من هذا السرداب قصة او اسطورة تقول: ان جيش الخليفة العباسي لما هجم على دار الامام الحسن العسكري بعد وفاته لا لقاء القبض على ولده المهدي، فرّ هذا الولد من أيديهم وغاب عن الأعين بدخوله السرداب المشار اليه ولم يخرج منه الى الآن. وكل ذلك من الملفّق

الموضوع الذي لا أصل له في المصادر الموثقة ولا يمت الى واقع الحال بصلة.

وزعم ابن تيمية ــ وربما أشاع الأعداء ذلك قبل عصر ابن تيمية ــ ان المهدي "قد دخل السرداب سنة ستين ومائتين وله خمس سنين عن بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شيء"[1].

وكان الوزير الاربلي ــ وهو أسبق تاريخاً من ابن تيمية ــ قد ذكر هذا الزعم وقال: ان ادعاء كون المهدي في سرداب "قول عجيب وتصور غريب، فان الذين أنكروا وجوده (عليه السلام) لا يوردون هذا، والذين يقولون بوجوده لا يقولون انه في سرداب، بل يقولون: انه حي موجود يحل ويرتحل ويطوف في الأرض"[2].

ثم استمر القائلون بذلك ممن انطلت عليهم تلك الأكذوبة في تكرار هذه المقولة حتى اليوم، وكان آخر من أوردها في أيامنا الحاضرة كاتب اسمه عبدالمجيد الشاوي في مقاله المنشور في جريدة الزمان اللندنية تحت عنوان (على مائدة الزمان) تحدث فيه عن استعمالات كلمة (الزمان) في التراث العربي، وجاء فيه قوله:

---

[1] منهاج السنة: ١٣١/٢ و ٢١٢/٤.

[2] كشف الغمة: ٢٩٦/٣.

"ومن أجل أن الزمان أشمل من الزمن وأغلب قالوا: المهدي المنتظر صاحب الزمان، وعلى جهة الاستطراد المفيد أقول لك: ان المهدي المنتظر صاحب الزمان هو من الحقائق المجمع عليها في ملة الاسلام، سوى ان الشيعة تقول: انه محمد بن الحسن العسكري دخل سرداب الدار في سامراء سنة ٢٦٥هـ وهو ابن تسع سنوات ولم يخرج منه، وهو حي الى اليوم"[3].

وما أدري كيف سوّغ هذا الكاتب لنفسه أن ينسب الى الشيعة هذا القول من دون اشارة الى من قال ذلك من علمائهم ومؤلفيهم ومؤرخيهم؛ ومن دون ذكر لمصدر هذا القول في الكتب والمؤلفات الشيعية، مما يدل على أنه اعتمد على الاشاعات التاريخية المغرضة بلا سند أو تحقيق.

وقد استوفى أحد الباحثين المعاصرين ــ وهو المرحوم الشيخ المحلاتي ــ الكلام في هذا الموضوع استيفاء تاماً شاملاً في كتابه تاريخ سامراء، وبيّن الحقيقة على نحو صحيح وسليم من الشوائب والأباطيل، وأنا أروي فيما يأتي معظم كلامه بالنص لأنه عين الصواب وفصل الخطاب:

قال الشيخ ــ رحمه الله ــ متحدثاً عن الامام المهدي (ع):

---

[3] جريدة الزمان: السنة السادسة/العدد١٥٢٥/٨ حزيران ٢٠٠٣م/ص٩.

"لما توفي أبوه غاب عن الأنظار، لا أنه دخل في السرداب وامه تنظر اليه كما توجد هذه العبارة في بعض كتب العامة. وان الشيعة الامامية تبرأ من هذه المعتقدات التي يلصقها بهم من آراد الحط من كرامة مذهبهم بما لم تجوّز له الشريعة الاسلامية"[4].

وقال وهو يتحدث عن السرداب:

"ليس اشتهار هذا السرداب بسرداب الغيبة لأن الحجة(ع) غاب فيه كما زعمه من يجهل التاريخ، بل لأن بعض الأولياء تشرف بخدمته فيه، وأنه مبيت الثلاثة من الائمة(ع) وموضع تعبدهم... ولذلك صار من البقاع المتبركة".

"وكان هذا السرداب داخل البيت، وله طريق في البناء القديم من وراء مرقد العسكريين(ع) عند قبرام القائم... وكان الزائر ينزل في الدرج ويمشي في أزج حتى يدخل السرداب من جهة قبلته. وكان الأمر كذلك الى حدود عام اثنين ومائتين بعد الألف، فلما تصدى لعمارة هذه البقعة المباركة الملك احمد خان الدنبلي (من حكام اذربيجان) جعل للسرداب باباً من جهة الشمال وسدّ باب القبلة... وهو اليوم (أي يوم كتابة هذا الشرح) له عشر درجات مفروشة بالرخام، ينزل الزائر منها الى رحبة لا يقل طولها عن ثلاثة عشر ذراعاً".

---

[4] تاريخ سامراء: ١/٢٩٢ـ٢٩٣.

"والباب المشبك الخشبي المنصوب على الصفّة في السرداب المقدس في يومنا هذا من الآثار الباقية للامام المستنصر العباسي، وقد عمله في سنة ست وستمائة ـ وكان العلامة النوري قد ذكر في كشف الاستار... ان الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بنور الله من خلفاء العباسية هو الذي أمر بعمارة السرداب ـ . وهذا الخشب من التحف والآثار الثمينة، ولقد مضى عليه احدى وخمسون وسبعمائة سنة وهو بعدُ جديدٌ كأنه من صنع اليوم"[5].

"ولما رأت سدنة المكان رغبة المؤمنين في زيارة تلك البقعة جعلوا يأخذون تراب ذلك المكان ويعطونه الزائرين بازاء دراهم معدودة، فأدى ذلك الى أن حُفرت تلك البقعة مقدار درجتين. ثم تصدى الى طمّها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني رحمه الله. ثم حفرها بعض السدنة لمقاصدهم الخاصة وسمّوها بئر صاحب الزمان، فكثرت شكوى الزائرين في عصر آية الله المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي طاب رمسه، فعمل بعض العوام باباً فضياً على حدّ فم البئر ونصبه عليها، فلم تمر الأيام والليالي حتى سُرق الباب وعاد الأمر كما كان، وان اية الله المجدد ـ رحمه الله ـ لم يتمكن من تغيير ذلك الى أن زالت الدولة العثمانية من

---

[5] تاريخ سامراء: ١/٢٨٨.

العراق. فسعى في طمّ البئر المولى الحجة الميرزا محمد الطهراني فطمّها بمعونة الحكومة وفرشها بالرخام الصقيل، ومع ذلك فقد فعل بعضهم ثقباً تحت الرخام ووسطه بمقدار أن تدخل الكف فيه لأخذ التراب، وربما وضعوا التراب فيه من الخارج لاعطائه الزائرين الذين لا يعلمون حقيقة التراب. ونظير هذه المشكلة البئر التي عند الباب الذي يفتح الى صحن الحجة (ع) غربا. حيث يزعم عوام الناس ان قطرة من حليب ثدي حكيمة بنت الامام الجواد (ع) وقعت فيها... ويزدحم العوام على البئر ويأخذون من مائها ويتبركون به، وكان على رأس البئر بعض السدنة يأخذ منهم بعض الدراهم ويعطيهم شربة منه، ولعمري ان هذا من حيل بعض السدنة، وهو جهل مفرط سيطر على بعض الجهال من الزائرين. وقد أشار الى بعض ما ذكرناه العلامة المحدث الميرزا حسين النوري ــ قدس سره ــ في مزاره المسمى (تحية الزائر) الفارسي المطبوع"[٦].

[٦] تاريخ سامراء: ١/٢٨٨ ــ ٢٩٢.

الملحق الثاني ــ وكلاء الإمام المهدي في غيبته الصغرى

كان للامام المنتظر (ع) في أثناء الغيبة الصغرى أربعة وكلاء، هم: أبو عمرو؛ عثمان بن سعيد العَمْري؛ الذي نصبه أولاً الامام أبو الحسن علي بن محمد الهادي وكيلاً عنه ثم ابنه أبو محمد الحسن العسكري ــ عليهما السلام ــ، فتولى القيام بامورهما حال حياتهما، ثم قام بعد ذلك بأمر الوكالة عن صاحب الزمان(ع) فكانت توقيعاته في جواب المسائل تخرج على يديه. والثاني: أبو جعفر محمد بن عثمان. والثالث: ابو القاسم الحسين ابن روح. والرابع: أبو الحسن علي بن محمد السمري، ولما حضرت السمريّ الوفاة سُئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، وذلك لوقوع الغيبة التامة الكبرى التي لا يلتقي فيها أحد مع الامام حتى يأذن الله تعالى له بالظهور.

وأجمع المؤرخون على أن أحداً من هؤلاء الأربعة لم يقم بواجب الوكالة والسفارة " الا بنصٍّ عليه من قبل صاحب

الأمر(ع) ونصّ صاحبه الذي تقدّم عليه"، كما أجمعوا على أنهم "كانوا أهل عقل وأمانة وثقة ظاهرة ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكانوا معظّمين عند سلطان الوقت لعظم أقدارهم وجلالة محلهم، مكرّمين لظاهر أمانتهم وانتهار عدالتهم"[1].

ونورد فيما يأتي لإتمام الفائدة واستكمال البحث موجزاً من تاريخ حياتهم وسيرهم، ليكون القارئ على علم بهم وبما عرفهم الناس به من الثقة والأمانة وصدق الحديث:

الوكيل الأول: عثمان بن سعيد.

أبو عمرو الأسدي، المعروف بـ(العَمْري) نسبةً الى جده و(العسكري) نسبة الى عسكر سر من رأى و(السمّان) و(الزيات) لأنه كان يتّجر في السَّمن "تغطية على الأمر"، "وكان الشيعة اذا حملوا الى أبي محمد(ع) ما يجب عليهم حمله من الأموال انفذوا الى أبي عمرو ذلك فيجعله في جُرُب السَّمن وزقاقه ويحمله الى أبي محمد (ع) تقية وخوفاً".

---

[1] كمال الدين: ٢٤١ وغيبة الطوسي: ٣٩٣ ــ ٣٩٤ والاحتجاج: ٢/٥٥٤ ــ ٥٥٥ واعلام الورى: ٢/٢٥٩ ــ ٢٦٠ والخرائج والجرائح: ٣/١١٠٨ وكشف الغمة: ٣/٣٣٧ ــ ٣٣٨ وخلاصة العلامة: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١/١٥ و ١٠٧ ــ ١٠٨ و ٢٠٣ و ٣٤٧ ــ ٣٤٨ و ٣٦٠.

وكان أبو عمرو هذا من أصحاب الامام علي بن محمد الهادي (ع) ووكلائه، وتولّى خدمته وصحبته احدى عشرة سنة، و"له اليه عهد معروف". ثم كان وكيل الامام الحسن العسكري(ع) من بعد أبيه. ثم أصبح أول سفراء المهدي الثقات الممدوحين في زمن الغيبة الصغرى.

وحدّث أبو علي أحمد بن اسحاق بن سعد القمي قال: "دخلتُ على أبي الحسن علي بن محمد(ع) في يوم من الأيام فقلت: ياسيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول اليك اذا شهدتُ في كل وقت، فقول مَنْ نقبل وأمْرَ مَنْ نمتثل؟، فقال(ع) لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أدّاه اليكم فعني يؤديه... فلما مضى أبو الحسن(ع) وصلتُ الى أبي محمد ابنه الحسن العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين؛ ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدّى اليكم فعني يؤديه".

وفي لفظ الشيخ الكليني في روايته هذه عن أحمد بن اسحاق: "سألتُ أبا الحسن الهادي(ع) وقلت: مَنْ أُعامل وعمَّن آخذ وقول مَنْ أقبل؟، فقال: العمري ثقتي، فما أدّى اليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فانه الثقة المأمون"، ثم روى عن أحمد أيضاً عن الامام العسكري(ع)

انه قال له: "العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا اليك فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطع فانهما الثقتان المأمونان". وروى الطوسي عن أبي العباس الحميري تفريعاً على هذه الرواية قوله: "فكنا كثيراً مّا نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبي عمرو".

وحدث محمد بن اسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا: "دخلنا على أبي محمد الحسن(ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدرٌ خادمه فقال: يامولاي؛ بالباب قوم شُعثٌ غُبرٌ ... قال الحسن(ع) لبدر: فامض فأتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا الا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد(ع): امض ياعثمان فانك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال. ثم ساقا الحديث الى أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: ياسيدنا؛ والله ان عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى. قال: نعم؛ واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم".

وروى الطوسي بسنده حديثاً طويلاً عن الامام العسكري(ع) جاء في ختامه: "فاقبلوا من عثمان ما يقوله،

وانتهوا الى أمره، فهو خليفة إمامكم والأمر اليه".

وتوفي عثمان بن سعيد ــ كما يبدو من سياق الروايات المعنية بهذا الرجل وابنه محمد ــ بعد وفاة الامام العسكري(ع) بقليل، ولم تطل مدة وكالته عن الامام المنتظر(ع)، ودفن ببغداد حيث يحل قبره القائم المعروف حتى اليوم[٢].

الوكيل الثاني: محمد بن عثمان؛ أبو جعفر:

قال الشيخ الطوسي: "فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان مقامه، بنصّ أبي محمد(ع) عليه ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم(ع)"، "والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته، لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع اليه في حياة الحسن(ع)"، و"كانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان الى شيعته... بالأمر والنهي والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه اذا احتاجت الى السؤال فيه... فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما الى أن توفي عثمان بن

---

[٢] يراجع فيما أوردنا في ترجمة عثمان بن سعيد: الكافي: ١/ ٣٣٠ وغيبة الطوسي ٢٤٣ و٣٥٤ ــ ٣٥٧ و٣٦٠ وخلاصة الأقوال: ٦٢ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٤ ــ ٣٤٦ ومجمع الرجال: ٤/ ١٣١ ومعجم رجال الحديث: ١١/ ١٢٠ ــ ١٢٢.

سعيد ــ رحمه الله ورضي عنه ــ وغسّله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به، وحصل الأمر كله مردوداً اليه".

ولما توفي عثمان بن سعيد ورد الى ابنه محمد توقيع من الامام الثاني عشر(ع) في التعزية بأبيه، جاء فيه:

"إنا لله وانا اليه راجعون، تسليماً لأمره ورضىً بقضائه. عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه الى الله عز وجل. نضَّر الله وجهه، وأقاله عثرته".

"وفي فصلٍ آخر: أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزِئتَ ورُزِئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرَّه الله في منقلبه. وكان من كمال سعادته أن رزقه الله عز وجل ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه. وأقول: الحمد لله، فان الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك. أعانك الله وقوّاك، وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً (أو:راعياً)، وكافياً ومعيناً".

وجاء في توقيع آخر من الامام المهدي(ع) الى محمد بن ابراهيم بن مهزيار الأهوازي بعد وفاة عثمان بن سعيد: "والابن ــ وقاه الله ــ لم يزل ثقتنا في حياة الأب ــ رضي الله عنه وأرضاه ونضَّر وجهه ــ يجري عندنا مجراه ويسد مسدَّه، وعن

أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانتهِ الى قوله".

وفي توقيع آخر منه عليه السلام بخطه جاء فيه: "وأما محمد ابن عثمان العمري ــ رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ــ فانه ثقتي، وكتابه كتابي".

وقال الشيخ الطوسي: "كان لأبي جعفر محمد بن عثمان العمري كتب مصنَّفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن(ع) ومن الصاحب(ع) ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد(ع)، فيها كتب ترجمتها: كتب الأشربة. وقد وصلت هذه الكتب الى أبي القاسم الحسين بن روح ــ رضي الله عنه ــ عند الوصية اليه، وكانت في يده".

وتوفي محمد بن عثمان في آخر شهر جمادى الاولى أو آخر جمادى الآخرة، سنة أربع أو خمس وثلاثمائة، بعد أن تولى الوكالة عن الأئمة(ع) نحواً من خمسين سنة. وقبره ببغداد معروف ماثل يزوره الناس حتى اليوم[٣].

---

[٣] اقتبسنا ما أوردنا في ترجمة محمد بن عثمان من: كمال الدين:٢٦٧ و٢٨٠ــ٢٨١وغيبة الطوسي: ٢٩١ و٣٥٧و ٣٥٩و ٣٦١ ــ ٣٦٣ و ٣٦٦ والخرائج والجرائح: ١١١٢/٣ والاحتجاج: ٥٦٢/٢ واعلام الورى: ٢٥٩/٢ وكشف الغمة: ٣٣٨/٣ وخلاصة العلامة: ٧٣ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٩ و ٣٥٠ و٣٥٢ ومجمع الرجال: ١٩٠/٧ ومعجم رجال الحديث: ٣٠٩/١٦ ــ ٣١٢ والذريعة: ١٠٦/٢.

الوكيل الثالث: ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي:

روى الصدوق بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل قال: "لما حضرتُ أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة كنتُ جالساً عند رأسه أسائله واحدّثه، وابو القاسم الحسين بن روح عند رجليه، فالتفت إليّ ثم قال: قد أُمرْتُ أن اوصي الى أبي القاسم الحسين بن رُوح. قال: فقمتُ من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولتُ عند رجليه".

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد المدائني قال: "كان من رسمي اذا حملتُ المال الذي في يدي الى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري أن أقول له: هذا المال ومبلغه كذا وكذا للامام(ع)... فيقول: نعم للامام، فيقبضه. فصرتُ اليه آخر عهدي به ومعي اربعمائة دينار، فقلت له على رسمي، فقال لي: امض بها الى الحسين بن روح، فتوقفت فقلت: تقبضها أنت مني على الرسم، فردّ عليّ كالمنكر لقولي وقال: قم عافاك الله فادفعها الى الحسين بن روح. فلما رأيت في وجهه غضباً خرجت وركبت دابتي، فلما بلغت بعض الطريق رجعتُ كالشاكّ فدققت الباب، فخرج إليّ الخادم فقال: مَنْ هذا؟، فقلت: أنا فلان... أدخل فاستأذنْ لي فانه لابد من لقائه، فدخل فعرّفه خبر رجوعي... فخرج... فقال لي: ما الذي

جرّأك على الرجوع ولم تمتثل ما قلته لك؟، فقلت: لم أجسر على ما رسمته لي، فقال لي وهو مغضب: قم عافاك الله فقد أقمتُ أبا القاسم حسين بن روح مقامي ونصبته منصبي. فقلت: بأمر الامام؟، فقال: قم عافاك الله كما أقول لك. فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرتُ الى أبي القاسم ابن روح ــ وهو في دار ضيقة ــ فعرّفته ما جرى، فسُرّبه وشكر الله عز وجل. ودفعتُ اليه الدنانير، وما زلت أحمل اليه ما يحصل في يدي بعد ذلك".

وروى الطوسي أيضاً بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل القمي قال: "كان محمد بن عثمان أبو جعفر العمري ــ رضي الله عنه ــ له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس، وأبو القاسم ابن روح فيهم، وكلهم كانوا أخصّ به من ابي القاسم... فلما كان وقت مضيّ أبي جعفر ــ رضي الله عنه ــ وقع الاختيارُ عليه، وكانت الوصية اليه".

وروى أيضاً بسنده عن أبي علي محمد بن همام قال: "ان أبا جعفر محمد بن عثمان العمري جمعنا قبل موته ــ وكنّا وجوه الشيعة وشيوخها ــ فقال لنا: إن حدث عليّ حدثُ الموت فالأمر الى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمرْتُ أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا اليه، وعوّلوا في اموركم عليه".

وروى أيضاً بسنده عن أحمد بن ابراهيم وأبي جعفر عبدالله ابن ابراهيم وجماعة من أهلهما من بني نوبخت: "ان أبا جعفر العمري لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة منهم أبو علي ابن همام وأبو عبدالله ابن محمد الكاتب وابو عبدالله الباقطاني وابوسهل اسماعيل بن علي النوبختي وابو عبدالله ابن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبي جعفر ــ رض ــ فقالوا له: إن حدث أمرٌ فمن يكون مكانك؟، فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر(ع) والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا اليه في اموركم، وعوّلوا عليه في مهما تكم، فبذلك أُمرتُ وقد بلّغتُ".

وروى الطوسي أيضاً بسنده عن ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري قالت: "كان أبو القاسم الحسين بن روح ــ رض ــ وكيلاً لأبي ستين كثيرة، ينظر في أملاكه، ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به... فحصّل في أنفس الشيعة محصّلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي اياه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر... الى أن انتهت الوصية اليه بالنص عليه، فلم يُختلف في أمره ولم يشكّ فيه أحد".

وكان ابو عبدالله ابن غالب ــ وهو حمو أبي الحسن ابن

أبي الطيب يقول: "مارأيتُ منْ هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح... وكانت العامة أيضاً تعظّمه".

وحدّث الطوسي بسنده عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي قال: "قال مشايخنا: كنّا لا نشك أنه إن كانت كائنة من أمر أبي جعفر لا يقوم مقامه الا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه، لما رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله، حتى بلغ انه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً الا ما أُصلِح في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه بسبب وقع له... وكان أصحابنا لا يشكون إن كانت حادثة لم تكن الوصية الا اليه من الخصوصية به. فلما كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر ــ رض ــ، ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم وبين يديه كتصرفه بين يدي أبي جعفر العمري الى أن مات. فكل من طعن على أبي القاسم فقد طعن على أبي جعفر وطعن على الحجة(ع)".

ويستفاد من خلاصة جملةٍ من الروايات ان ابا القاسم الحسين بن روح كان قد خاف من السلطة خلال أيام وكالته فاستتر عن الناس، ونصب أبا جعفر محمد بن علي المعروف بالشلمغاني وكان مستقيماً يومذاك "لم يظهر منه الكفر والالحاد

وكان الناس يقصدونه ويلقونه، لأنه كان صاحب الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح سفيرا بينهم وبينه في حوائجهم ومهماتهم".

وجاء في بعض تلك النصوص: ان الشلمغاني المذكور "كان وجيها عند بني بسطام... فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه، وأمرهم بلعنه والبراءة منه". و"لم يبق أحد الا وتقدم اليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن تولاه ورضي بقوله"، "ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان(ع) بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله". "وكان تاريخ هذا التوقيع في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة... ثم أمر الخليفة العباسي الراضي بالله بالقبض عليه وقتله، فقُتل في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة".

ويقول الحافظ الذهبي: ان الشلمغاني ابا جعفر لما ادّعى انه الباب الى الامام المنتظر وزعم مزاعمه المفسدة للعقيدة والايمان "أظهر أمره وفضحه ابو القاسم الحسين بن روح رأس الشيعة الملقب بالباب الى صاحب الزمان".

وكان الشيخ الطوسي قد روى عن أبي محمد الحسن بن جعفر بن اسماعيل بن صالح الصيمري قال: "لما أنفذ الشيخ ابو القاسم الحسين بن روح — رض — التوقيع في لعن ابن أبي العزاقر (الشلمغاني) أنفذه من محبسه في دار المقتدر الى شيخنا أبي علي ابن همام — رحمه الله — في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة. وأملاه أبو عليّ عليّ، وعرّفني ان أبا القاسم — رض — راجعَ في ترك إظهاره فانه في يد القوم وفي حبسهم، فأمر بإظهاره وأن لا يخشى ويأمن، فتخلص فخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة".

وروى الذهبي: ان ابن أبي طيّ قال في تاريخه متحدثا عن الحسين بن روح: ان ابا جعفر محمد بن عثمان العمري" نصّ عليه بالنيابة وجعله من أول مَنْ يدخل... قال: وقد خرج على يديه تواقيع كثيرة، فلما مات أبو جعفر صارت النيابة الى حسين هذا، فجلس في الدار وحفّ به الشيعة، فخرج ذكاء الخادم ومعه عكازة ومدرّج وحقّة وقال له: ان مولانا قال: اذا دفنني أبو القاسم حسين وجلس فسلّمْ اليه هذا. واذا في الحُقّ خواتيم الأئمة... وكثرت غاشيته حتى كان الامراء والوزراء يركبون اليه والأعيان، وتواصف الناس عقله وفهمه. ولم يزل أبو القاسم وافر الحرمة الى أن وزر حامد بن العباس، فجرت له معه خطوب

يطول شرحها".

وأضاف الذهبي الى ما تقدم قائلاً: "ثم سرد ابنُ أبي طيّ ترجمته في أوراق، وكيف أُخذ وسُجن خمسة أعوام، وكيف أُطلق وقت خلع المقتدر، فلما أعادوه الى الخلافة شاوروه فيه فقال: دعوه فبخطيّته أُوذينا".

"وبقيت حرمته على ما كانت الى أن مات... وكانت الامامية تبذل له الأموال، وله تلطّف في الذب عنهم؛ وعبارات بليغة تدل على فصاحته وكمال عقله. وكان مفتي الرافضة وقدوتهم، وله جلالة عجيبة".

وتوفي الحسين بن روح ــ رحمه الله ــ في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقبره معلوم بارز في سوق الشورجة ببغداد[٤].

---

[٤] رجعنا فيما تقدم من ترجمة الحسين بن روح الى المصادر الآتية: كمال الدين: ٢٧٦ ــ ٢٧٧ وغيبة الطوسي: ٣٠٣ و٣٠٧ ــ ٣٠٨ و٣٦٧ و٣٦٩ ــ ٣٧٢ و ٣٨٤ و ٣٨٦ ــ ٣٨٧ والخرائج والجرائح: ٣/١١٢٠ ــ ١١٢١ وإعلام الورى: ٢/٢٥٩ وكشف الغمة: ٣/٣٣٨ وسير أعلام النبلاء: ١٤/ ٥٦٧ و١٥/٢٢٢ ــ ٢٢٤ ولسان الميزان: ٢/٢٨٣ ــ ٢٨٤ والوافي بالوفيات: ١٢/٢٢٦ ــ ٢٢٧ وخلاصة العلامة الحلي: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١/٣٢٠ ــ ٣٢١و٣٥٣ و ٣٥٥ و ٣٥٧ ــ ٣٥٨ و٣٧١ و ٣٧٣ و ٣٧٦ و ٣٧٧ ومجمع الرجال: ٧/١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ٥/٢٤٠.

الوكيل الرابع: علي بن محمد السمري:

روى الصدوق بسنده عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتّب قال: "كنتُ بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج الى الناس توقيعاً نُسْخته:

"بسم الله الرحمن الرحيم. ياعلي بن محمد السمري: أعظم الله أجر اخوانك فيك فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصِ الى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور الا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم".

"قال: فنَسَخْنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: مَنْ وصيك من بعدك؟، فقال: لله أمرهو بالغه. ومضى رضي الله عنه".

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني قال: "أوصى الشيخ أبو القاسم ــ رض ــ الى أبي

الحسن علي بن محمد السمري ــ رض ــ. فقام بما كان الى أبي القاسم. فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكّل بعده ومن يقوم مقامه، فلم يُظْهِر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يُؤمَر بأن يوصي الى أحدٍ بعده في هذا الشأن".

وكانت وفاة السمري ــ رحمه الله ــ في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين أو تسع وعشرين وثلاثمائة. وقبره ببغداد في سوق السراي معروف قائم حتى اليوم[٥].

★ ★ ★

تنبيه:

قد يرى المراجع لبعض المصادر في تحديد مواضع قبور الوكلاء الأربعة المتقدمي الذكر ما يستشف منه الخلاف والتضارب فيما بينها، ومنشأ ذلك ــ كما يعلم المعنيون بالخطط ــ اطلاق أسماء بعض المواضع البغدادية على أماكن في الجانب الشرقي منها وفي

[٥] اقتبسنا هذه الترجمة من المصادر الآتية: كمال الدين: ٢٨٤ وغيبة الطوسي: ٣٩٤ ــ ٣٩٦ والاحتجاج: ٢/٥٥٦ وإعلام الورى: ٢/٢٥٩ ــ ٢٦٠ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١٢٨ ــ ١١٢٩ وكشف الغمة: ٣/٣٣٨ وخلاصة العلامة: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١ / ٣٦٠و ٣٦٢ ومجمع الرجال: ٧/١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ١٢/ ١٨٦ ــ ١٨٧.

الجانب الغربي أيضاً، مما يوقع الالتباس بسبب تشابه تلك الأسماء في تعيين مكان كل قبر منها بدقة ووضوح.

فشارع الميدان الذي ذكرت المصادر وجود قبر عثمان بن سعيد فيه ونصّ بعضهم على كونه بالجانب الغربي من بغداد؛ هو أحد موارد ذلك اللبس والاشتباه، لأن الميدان كما ذكر الخططيون"اسم لعدة ميادين في الجانبين الشرقي والغربي"، ولذلك نظائر كثيرة في أسماء خطط بغداد كلفظ (القُرَيَّة) الذي كان اسماً لمحلتين فيها احداهما بالجانب الشرقي والثانية في الجانب الغربي، وكذلك (درب السلسلة) الذي نزله أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ــ رحمه الله ــ وكان اسماً لدربين احدهما بالجانب الغربي والآخر بالجانب الشرقي بجوار النظامية، وكذلك أيضاً (درب الآجُرّ) الذي كان محلة ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي، وهو غيْر (درب الآجر) الذي كان بالمحلة الجعفرية بالجانب الشرقي منها[٦]. والى آخر الأسماء التي جاءت متشابهة في جانبي بغداد فكانت مدعاة لمثل ذلك الخلط والالتباس.

ولما كانت قبور هؤلاء الوكلاء الأربعة موضوع البحث قد توارث معالمها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل وعصراً بعد

[٦] بغداد قديماً وحديثاً: ٣٠٠ و ٣١٨ ــ ٣١٩و ٣٢٤.

عصر، فهي من المسلمات المتلقاة يداً عن يد بالقبول فلا يصح التردد فيها أبداً، ولن يصلح تشابه التسميات دليلاً على نفي موضع منها لأنه تشابه ناشئ كما أسلفنا من اطلاق هذه الأسماء على أماكن ومحلات في جانبي بغداد، وبهذا فقدت تلك النصوص دلالتها الصريحة على نفي صحة ماهو قائم تسالم عليه الناس منذ قرون خلت وحتى اليوم.

فهرس المصادر والمراجع

الأئمة الاثناعشر/لابن طولون الدمشقي	بيروت	١٣٧٧هـ
اثبات الوصية/للمسعودي ـ المطبعة الحيدرية ـ	النجف	(بلاتاريخ)
الاحتجاج/لأحمد بن علي الطبرسي	طهران	١٤١٦هـ
الارشاد/لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد	طهران	١٣٠٨هـ
الاستيعاب/لابن عبدالبرالقرطبي ـ هامش الاصابة ـ	القاهرة	١٣٥٨هـ
اسعاف الراغبين/للصبان ـ هامش نورالأبصار ـ	القاهرة	١٣٥٦هـ
إعلام الورى/للفضل بن الحسن الطبرسي	قم	١٤١٧هـ
الأنباء الجديدة (جريدة)	بغداد	١٩٦٥م
أنساب الأشراف/ للبلاذري ج١	القاهرة	١٩٥٩م
بحار الأنوار/للمجلسي ج٥١	طهران	١٣٩٠هـ
البداية والنهاية/ لابن كثير الدمشقي	القاهرة	١٣٥١هـ
برناردشو/لعباس محمود العقاد ـ سلسلة اقرأ ـ	القاهرة	١٩٥٠م
بغدادقديماً وحديثاً /للدكتورين مصطفى جواد وأحمدسوسة	بغداد	١٣٧٨هـ
البيان / للحافظ الكنجي	النجف	١٣٨٢هـ
تاريخ / الطبري	القاهرة	١٩٦٣م
تاريخ / اليعقوبي	النجف	١٣٥٨هـ
تاريخ الاسلام / للذهبي	بيروت	١٤٢٢هـ

تاريخ سامراء/للشيخ ذبيح الله المحلاتي ـ المطبعة الحيدرية	النجف	(بلاتاريخ)
تحفة العالم/ للسيد جعفر بحرالعلوم	النجف	١٣٥٤هـ
تذكرة الحفاظ / للذهبي	الهند	١٣٧٥هـ
تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي	النجف	١٣٦٩هـ
تراثنا (مجلة)	بيروت	١٤١٦هـ
التهذيب / محمد بن الحسن الطوسي	طهران	١٣٩٠هـ
جمهرة أنساب العرب / لابن حزم	القاهرة	١٣٨٢هـ
جواهر الكلام / للشيخ محمد حسن النجفي ج٢٠	النجف	١٣٨٩هـ
الحاوي / للسيوطي	القاهرة	١٣٧٨هـ
الخرائج والجرائح/ لقطب الدين الراوندي	بيروت	١٤١١هـ
خلاصة الأقوال/ للعلامة الحلي	طهران	١٣١٠هـ
دلائل النبوة / للبيهقي	بيروت	١٤٠٥هـ
ديوان / دعبل الخزاعي	بيروت	١٩٦٢م
ديوان / عبدالله بن علوي (الدر المنظوم)	القاهرة	١٣٧٧هـ
ديوان/ مهيار الديلمي	القاهرة	١٣٤٩هـ
الذريعة/ لآقابزرك الطهراني ـ طبعة دارالأضواء ـ	بيروت	(بلاتاريخ)
الروض الأنف/ للسهيلي ـ طبعة دار الفكر ـ	بيروت	(بلاتاريخ)
الزمان (جريدة)	لندن	٢٠٠٣م

سنن / ابن ماجة	القاهرة	١٣٧٢هـ
سنن / أبي داوود	القاهرة	١٣٧١هـ
سنن / الترمذي	القاهرة	١٣٥٦هـ
سير أعلام النبلاء / للذهبي	بيروت	١٤٠٦هـ
السيرة النبوية/ لابن هشام	بيروت	١٣٩١هـ
شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد	القاهرة	١٣٧٨هـ
صحيح/ البخاري ـ طبعة محمدعلي صبيح ـ	القاهرة	(بلاتاريخ)
صحيح/ مسلم ـ طبعة محمدعلي صبيح ـ	القاهرة	(بلاتاريخ)
الصواعق المحرقة/ لابن حجر الهيتمي	القاهرة	١٣١٢هـ
طبقات/ابن سعد	ليدن	١٣٢٢هـ
عقيدة الشيعة/ لدونالدسن ـ الترجمة العربية ـ	القاهرة	١٣٦٥هـ
عمدة الزائر/ للسيد حيدرالحسني	بيروت	١٣٩٩هـ
عمدة الطالب/ للداوودي النسابة	النجف	١٣٥٨هـ
عيون أخبار الرضا/ للصدوق	ايران	١٣١٨هـ
الغدير / لعبدالحسين الأميني	النجف	١٣٦٥هـ
الغيبة/ لمحمد بن الحسن الطوسي	قم	١٤١٧هـ
الفصل/ لابن حزم	بيروت	١٣٩٥هـ

الفصول العشرة في الغيبة/لمحمدبن محمدبن النعمان المفيد	النجف	١٣٧٠هـ
الفصول المهمة/ لابن الصباغ المالكي	النجف	١٣٧٠هـ
الكافي / لمحمد بن يعقوب الكليني	طهران	١٣٧٥هـ
كشف الغمة / لعلي بن عيسى الاربلي	النجف	١٣٨٥هـ
كمال الدين وتمام النعمة / للصدوق	ايران	١٣٠١هـ
لسان الميزان / لابن حجر	الهند	١٣٢٩هـ
مناهات في مدينة الضباب/جمع وإعداد لجنة هجرالثقافية	بيروت	١٤٢١هـ
مجمع الرجال/ لعناية الله القهبائي	طهران	١٣٨٤هـ
مجمع الزوائد/ لابن حجر	بيروت	١٣٦٧هـ
المحلى / لابن حزم	بيروت	١٤٢٢هـ
المستدرك على الصحيحين/ للحاكم النيسابوري	بيروت	١٤٢٢هـ
مسند / أحمد بن حنبل	بيروت	١٣٨٩هـ
مطالب السؤول/ لمحمد بن طلحة الشافعي	النجف	١٣٧١هـ
المعجم الكبير / للطبراني	بغداد	١٣٩٨هـ
معجم رجال الحديث / للخوئي ج٥	النجف	١٣٩٣هـ
ج١١	النجف	١٩٧٥م
الملتقى الدولي (جريدة)	القاهرة	٢٠٠٢م
المناقب/ لابن شهراشوب السروي	طهران	١٣١٧هـ

منهاج السنة / لابن تيمية	القاهرة	١٣٢١هـ
المهدي المنتظر/ للدكتور عداب محمود الحمش	عمّان	١٤٢٢هـ
المهدي والمهدوية/ للدكتور أحمد أمين	القاهرة	١٩٥١م
نور الأبصار / للشبلنجي	القاهرة	١٣٥٦هـ
نهاية الأرب / للنويري ج١٦	القاهرة	(ط مصورة)
الوافي بالوفيات / للصفدي	طهران	(ط مصورة)
وفيات الأعيان / لابن خلكان	القاهرة	١٣٦٧هـ
ينابيع المودة / للقندوزي	استانبول	١٣٠٢هـ

فهرس مطالب الكتاب

الصفحة

المقدمة ٥ــ١٢

محمد بن الحسن المهدي بين ولادته وإمامته .. ١٣ــ٥٤

ــ تاريخ الولادة: اليوم والشهر والسنة ــ قيام السيدة حكيمة بأعمال القابلة ــ الولادة واجراء السنن الشرعية على اثرها ــ كتمان خبر هذا الوليد عن عامة الناس حفاظاً على حياته ــ شمول الكتمان عدة جوانب تخص هذا الوليد ــ اثارة هذا الكتمان لكثير من الشكوك ــ استغلال المشككين ومنهم اليهود لهذه السِّرّية على مر التاريخ حتى اليوم ــ أهم الامور التي تمسك بها المشككون لنفي وجود الامام ونكران ولادته ــ المؤرخون الذين نصوا على ولادة الامام ــ الروايات التي أكد بها الامام العسكري خبر ولده ــ تفنيد شبهات المشككين واحدة واحدة ــ

الامام محمد بن الحسن المهدي (ع)

بين إمامته وغيبته..... ٥٥ــ١٠٠

الأدلة على إمامته: الدليل الأول: نصُّ أبيه عليه ــ شواهد من أقوال الامام العسكري في الحديث عن ولده. الدليل الثاني: النص النبوي على عدد الأئمة ــ شواهد من تلك النصوص. الدليل الثالث: النص على اسم المهدي وغيبته ــ شواهد من الأحاديث النبوية على ذلك ــ الرد على ما ورد مخالفاً ذلك من الروايات والزوائد الموضوعة ــ جريدة بأسماء بعض الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي (ع) ــ جريدة بأسماء بعض المحدّثين الذين نصوا على تواتر احاديث المهدي (ع) أو صرحوا بصحتها من غير الشيعة الامامية ــ ذكر بعض المصنفين الذين ألفوا الكتب في موضوع المهدي (ع) من غير الشيعة ــ ذكر بعض الشعراء القدامى

الذين تضمنت قصاندهم ذكر المهدي والترقب
ليوم ظهوره ـ .
غيبة الامام المهدي (ع)
بين المثبتين والمنكرين ١٠١ـ٢٤
ـ ورودها بصريح اللفظ في النصوص النبوية
ـ النص النبوي على وجود الامام في كل زمان
ـ وجوب التعبد بهذه النصوص على كل حال
ـ الغيبة الصغرى ـ مكاتبات الناس للامام
خلال هذه الغيبة ـ الغيبة الكبرى ـ سبب
الغيبة وعلتها كما ذكر علماء السلف ـ هل
من الممكن بقاء الانسان حياً طوال هذه السنين
ـ النصوص القرآنية والتاريخية على وقوع
ذلك ـ ذهاب العلم الحديث الى امكان ذلك
ـ ذهاب برناردشو الى القول بذلك في
(السوبرمان) الذي بشّر به ـ .
مُلْحقا الكتاب ١٢٥
الملحق الأول: في سرداب الغيبة والقول الصحيح فيه. ١٢٧ـ١٣٢

الملحق الثاني: في وكلاء الامام (ع) خلال الغيبة ١٣٣ـ١٥٠
الصغرى. وهم أربعة:
عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان ،
والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.
فهرس المصادر والمراجع..... ١٥١ـ١٥٥
فهرس مطالب الكتاب ١٥٦ـ١٥٨